الفصل الثالث

منهجه في الإيمان باليوم الآخر والمعاد

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : الإيمان باليوم الآخر وأثره.

المبحث الثاني: مقدمات اليوم الآخر.

المبحث الثالث: اليوم الآخر" يوم القيامة".

المبحث الرابع: الجنة والنار.

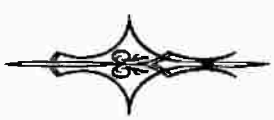

توطئة

ترتبط حياة الخلق بأمرين هما :

الأول: المبدأ: وهو إخراج الخلق من العدم إلى الوجود .

الثاني: المعاد : وهو رجوعهم إلى الوجود بعد الفناء ، أو إلى الحياة بعد الموت .

والى هذين الأمرين يشير القرآن الكريم في كثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[1] قوله سبحانه وتعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[2]، وغيرها، وكما أنه لا مجال لإنكار المبدأ بعد الوجود، فكذلك لا مجال لإنكار المعاد بعد الموت ، لأن الذي قدر على البدء، قادر على الإعادة من باب أولى، كما قال سبحانه وتعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3]، وقد وقع التعبير عن المعاد في الكتاب والسُّنَّة بعبارات متعددة منها : " اليوم الآخر " و " يوم القيامة " و" الساعة" و " البعث والنشور" وغيرها، والإيمان بالمعاد وما يتعلق به من الموضوعات الهامة التي تناولها سيد - رحمه الله - بالشرح والبيان وخاصة في كتاب " الظلال " و " مشاهد القيامة في القرآن " ولو جمع كلامه حول الموضوع لكان في حد ذاته رسالة مستقلة أو أكثر[4].

وسأعرض في هذا الفصل لأهم المسائل التي تناولها سيد قطب بنوع من الإيجاز، وذلك من خلال المباحث الآتية:

---

(١) سورة يونس : الآية ٣٤.

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٩.

(٣) سورة الروم الآية : ٢٧.

(٤) جمع الشيخ / أحمد فائز ما يتعلق باليوم الآخر من مسائل في ظلال القرآن في كتاب سماه " اليوم الآخر في ظلال القرآن " وهو كتاب نفيس ، إلا أن مما يؤخذ على المؤلف أنه لم يعزو الأقوال إلى مواضعها في الظلال ، الأمر الذي يصعب معه التمييز بين كلام سيد وكلام غيره .

المبحث الأول

الإيمان باليوم الآخر وأثره

تحدث سيد قطب - رحمه الله - عن الإيمان باليوم الآخر في كل مناسبة ورد ذكره فيها في كتاب الله تعالى، مبينًا حكم الإيمان باليوم الآخر، وأهميته في الحياة، وآثار الكفر به أيضًا، ويمكن بيان ذلك بإيجاز في المطالب الآتية.

المطلب الأول

معنى الإيمان باليوم الآخر وحكمه

أولا : معنى الإيمان باليوم الآخر :

الايمان باليوم الآخر يعني: التصديق باليوم الذي يرجع فيه العباد إلى الله وما يكون فيه من البعث والحساب والجزاء على الأعمال، والتصديق بما يقع في ذلك اليوم من الأمور العظام، وما يقع قبله من الموت والحياة البرزخية .

ثانيا : حكم الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر وما فيه ركن من أركان الإيمان الستة التي يجب الإيمان بها، وهو أحد عناصر الإيمان وأصول العقيدة في كل الديانات السماوية التي جاءت من عند الله، وقد دل على وجوب الإيمان باليوم الآخر الكتاب والسُّنَّة والإجماع.

أما أدلة الكتاب فكثيرة جدًا: منها قول الله تعالى:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [1].وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [2].

وأما السُّنَّة : فقد جعله النبي ﷺ من أركان الإيمان، كما جاء في حديث جبريل المشهور قال: فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال : صدقت " . [3]

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٧.

(٢) سورة النساء : الآية ١٣٦ وينظر الآيات : البقرة ٦٢ آل عمران ١١٤ النساء ١٦٢ المائدة ٦٩.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان ١/ ٤٦، برقم ٨

وأما الإجماع: فقد اجمع المسلمون على وجوب الإيمان باليوم الآخر وكفر من أنكره [١].

وقد تحدث سيد - رحمه الله - كثيرًا عن وجوب الإيمان باليوم الآخر وكفر من أنكره ومن ذلك:

* قوله -رحمه الله-: " والاعتقاد بيوم الدين كلية من كليات العقيدة الإسلامية"، " وأحد عناصر وأركان الإيمان التي يجب أن يؤمن بها الذين امنوا " .

* ويقول أيضًا : " والإيمان باليوم الآخر هو أحد مقتضيات الإيمان بالله وفق التصور الإسلامي .. فاليوم الآخر والجزاء فيه حتمية من حتميات الإيمان وفق التصور الإسلامي ... حيث ذكره الله تعالى في سياق أركان الإيمان في قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [٢] .فذكرت الآية حقيقة الإيمان الشامل الذي جاء به هذا الدين والذي يشمل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر [٣].

*ويقول أيضًا : " وقضية البعث والحساب والجزاء في الدار الآخرة من قضايا العقيدة الأساسية التي جاء بها الإسلام، والتي يقوم عليه بناء هذه العقيدة بعد قضية وحدانية الألوهية ، والتي لا يقوم هذا الدين - عقيدة وتصورًا، وخلقًا وسلوكًا، وشريعةً ونظامًا، إلا عليها وبها .." " فالإيمان باليوم الآخر شطر الإيمان ".

كما يقرر سيد - رحمه الله - أن الإيمان باليوم الآخر أحد أصول العقيدة التي جاء بها رسل الله جميعا حيث يشير رحمه الله في ظلال قصة يوسف إلى أن الإيمان بالآخرة كان عنصرًا من عناصر العقيدة على لسان الرسل جميعا منذ فجر البشرية الأول " .

---

(١) ينظر : مراتب الإجماع لابن حزم ، دار أبن حزم بيروت - ط١ عام ١٤١٩هـ ، ص ٢٧١ ، وموسوعة الإجماع لسعدي أبو حبيب ١/ ١٦١ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٨٥.

(٣) في ظلال القرآن : ١/ ٣٤٠-٣٤٤ بتصرف .

ثالثًا : موقف الناس من اليوم الآخر :

بين سيد قطب – رحمه الله – أن عقيدة الإيمان باليوم الآخر من الأصول التي جاء بها كل نبي من أنبياء الله، ولكن البشر عندما ينحرفون عن الدين الحق تغيب هذه الحقيقة عنهم أو تصبح مشوهة.

* وأورد – سيد – فصلًا في كتابه " مشاهد القيامة في القرآن" بعنوان :" العالم الآخر في الضمير البشري " ، تحدث فيه عن عقيدة الإيمان باليوم الآخر عند الأمم والشعوب في التاريخ البشري، وكيف انحرف الناس عنها، فبعض الأمم والشعوب كانت تؤمن بالحياة بعد الموت ، ولكن يشوب ذلك كثير من الشوائب لأنها قامت في ظل عقيدة وثنية كما كان الحال عند قدماء المصريين .

* وبعض الشعوب لا نجد عندها إيمان باليوم الآخر ولا الحساب والجزاء، وإنما نجد عندها التناسخ والفناء في الروح الأعظم كما هو شان عقيدة " النيرفانا " في الديانات الهندوكية والبوذية .

* أما أهل الكتاب فقد حرفوا دينهم فبعض فرق اليهود كـ " الصدوقيين" ينكرون القيامة، وآخرون يؤمنون بها " كالفريسيين " ولكنه إيمان تشوبه كثير من الشوائب والانحرافات .

و أما الأناجيل فقد أشارت إلى اليوم الآخر إشارات متفرقة، يشوبها ما شاب التوراة قبلها من تحريف لحقائق هذا اليوم العظيم.

* أما العرب فقد كانوا يزعمون أنهم على دين أبيهم إسماعيل وجدهم إبراهيم – عليهما السلام – ومع أن عقيدة الإيمان باليوم الآخر كانت أصيلة في دين جدهم إبراهيم – عليه السلام – وفي دين أبيهم إسماعيل – عليه السلام – أيضًا، إلا أنه كان قد طال عليهم الأمد، وبَعُدَ ما بينهم وبين أصول الإسلام الذي كان عليه إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – لقد اندثرت عقيدة الإيمان بالآخرة تماما من تصوراتهم، فكانت أغرب شيء عليهم وأبعده عن تصورهم، حتى لقد كانوا يعجبون ويُعَجِّبُون من رسول الله – ﷺ – لأنه يحدثهم عن الحياة بعد الموت، وعن البعث والنشور

والحساب والجزاء، كما حكى القرآن الكريم عنهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴾[1]،[2].

" لذا كانت حقيقة الآخرة من الحقائق العسيرة الإدراك عند مشركي العرب، ولقد لقيت منهم معارضه نفسية عميقة، وكانوا يتلقونها بغاية العجب والدهش والاستغراب ، وينكرونها أشد الإنكار ويتحدون الرسول ﷺ في صور شتى أن يأتيهم بهذا اليوم الموعود، أو أن يقول لهم: متى يكون؟ "[3]. " والعجيب في أمر المشركين أنهم كانوا يعتقدون بوجود الله، وخلقه للكون أول مرة، ولكنهم مع هذا لم يعتقدوا بيوم الجزاء كما أخبر الله عنهم في مواضع متعددة من القرآن الكريم كقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾[4] ثم يحكى عنهم في موضع آخر: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾[5]،[6].

(١) سورة سبا : الآية ٧-٨ .
(٢) في ظلال القرآن : ٣/ ١٤٠٨ .
(٣) المصدر السابق: ٦/ ٣٦٩٥ .
(٤) سورة لقمان : الآية ٢٥ .
(٥)سورة ق : الآية ٢-٣ .
(٦)في ظلال القرآن : ١/ ٢٤ .

المطلب الثاني

أهمية الإيمان باليوم الآخر وآثاره

الإيمان باليوم الآخر هو أحد الأصول التي بعث بها الرسل جميعا والتي تشمل: "إثبات التوحيد والنبوات والمعاد " .

أولًا: أهمية الإيمان باليوم الآخر:

بيَّن سيد قطب- رحمه الله – أن أهمية الإيمان باليوم الآخر تظهر فيما يأتي:

١- أنه أحد أصول الإيمان والعقيدة التي جاء بها الرسل جميعا ، وعنصرًا من عناصر العقيدة منذ فجر الرسالات " .

٢- أنه كلية من كليات العقيدة الإسلامية وأحد مقتضيات الإيمان بالله التي يجب الإيمان بها، بل هو شطر الإيمان الذي لا يتم إلا به " .

٣- أنه" مفرق الطريق في ارتقاء الإنسان عن عالم البهيمة " .

ثانيًا : أثار الإيمان باليوم الآخر:

وأما أثار الإيمان باليوم الآخر فكثيرة جدًا وقد ذكر سيد - رحمه الله – عددًا منها هي:

١- " أن الاعتقاد باليوم الآخر ضروري لاكتمال الشعور بأن وراء الحياة حكمة ، وأن الخير الذي تدعو إليه الرسالات هو غاية الحياة ومن ثم لابد من أن يلقي جزاءه، فإن لم يلقي في هذه الحياة الدنيا فجزاؤه مضمون في العالم الآخر، الذي تصل فيه الحياة البشرية إلى الكمال المقدر لها ، أما الذين يزيغون عن نهج الله وحكمته في الحياة فهؤلاء يرتكسون وينتكسون إلى درك العذاب ، وفي هذا ضمان للفطرة السليمة ألا تنحرف فإن غلبتها شهوة أو استبد بها ضعف عادة تائبة ولم تلج في العصيان ، ومن ثم تصلح هذه الأرض لحياة البشر وتمضي الحياة على سنتها في طريق الخير" .

٢- أن الاعتقاد باليوم الآخر ليس طريقا للثواب في الآخرة فحسب - كما يعتقد بعض الناس - إنما هو الحافز على الخير في الحياة الدنيا ، والحافز على إصلاحها ونمائها ، على أن يراعى في هذه النماء أنه ليس هدفًا في ذاته ، إنما هو وسيلة لتحقيق حياة لائقة بالإنسان المكرم " " فالباعث على العمل الطيب ، والخلق الطيب ، هو الإيمان بالله واليوم الآخر ، والتطلع إلى رضاء الله . . وجزاء الآخرة، فهو باعث رفيع لا ينتظر صاحبه جزاء من الناس، ولا يتلقاه ابتداءً من عرف الناس! فإذا لم يكن هناك إيمان بإله يبتغي وجهه، وتتحدد بواعث العمل بالرغبة في رضاه، وإذا لم يكن هناك اعتقاد بيوم آخر يتم فيه الجزاء.. اتجه هم الناس إلى نيل القيم الأرضية المستمدة من عرف الناس، وهذه لا ضابط لها في جيل واحد في رقعة واحدة، فضلًا عن أن يكون لها ضابط ثابت في كل زمان وفي كل مكان! فيكون التأرجح المستمر وتكون الصفات الذميمة في حياة البشر" .

٣- أن " الاعتقاد بالآخرة يؤدي دوره الأساسي في إفاضة السلام على روح المؤمن وعالمه ، ونفي القلق والسخط والقنوط.. إن الحساب الختامي ليس في هذه الأرض، والجزاء الأوفى ليس في هذه العاجلة.. إن الحساب الختامي هناك؛ والعدالة المطلقة مضمونة في هذا الحساب، فلا ندم على الخير والجهاد في سبيله إذا لم يتحقق في الأرض أو لم يلق جزاءه ، ولا قلق على الأجر إذا لم يوفَ في هذه العاجلة بمقاييس الناس ، فسوف يوفاه بميزان الله، ولا قنوط من العدل إذا توزعت الحظوظ في الرحلة القصيرة على غير ما يريد ، فالعدل لا بد واقع ، وما الله يريد ظلمًا للعباد" .

٤- أن الاعتقاد بالآخرة حاجز كذلك دون الصراع المجنون المحموم الذي تداس فيه القيم وتداس فيه الحرمات بلا تحرج ولا حياء ، فهناك الآخرة فيها عطاء، وفيها غناء ، وفيها عوض عما يفوت، وهذا التصور من شأنه أن يفيض السلام على مجال السباق والمنافسة، وأن يخلع التجمل على حركات المتسابقين؛ وأن يخفف السعار الذي ينطلق من الشعور بأن الفرصة الوحيدة المتاحة هي فرصة هذا العمر القصير المحدود! " ، " فالإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بالعدالة الإلهية المطلقة في الجزاء وبأن حياة الإنسان على هذه الأرض ليست سدى ولا فوضى بغير ميزان ، وبأن الخير لا يعدم جزاءه، ولو بدأ أنه في هذه الأرض لا يلقى الجزاء " فهناك الجزاء عما يفوت " .

" والإيمان بالآخرة هو الزمام الذي يكبح الشهوات والنزوات ويضمن القصد والاعتدال في الحياة، والذي لا يعتقد في الآخرة لا يملك أن يحرم نفسه شهوة أو يكبح فيها نزوة ، وهو يظن أن الفرصة الوحيدة المتاحة له للمتاع هي فرصة الحياة على هذا الكوكب ، وهي قصيرة مهما طالت، وما تكاد تتسع لشيء من مطالب النفوس وأمانيها التي لا تنال ، ثم ما الذي يمسكه حين يملك إرضاء شهواته ونزواته ، وتحقيق لذاته ورغباته ، وهو لا يحسب حساب وقفته بين يدي الله ، ولا يتوقع ثوابًا ولا عقابًا يوم يقوم الأشهاد، ومن ثم يصبح كل تحقيق للشهوة واللذة مزينًا للنفس التي لا تؤمن بالآخرة تندفع إليه بلا معوق من تقوى أو حياء ، والنفس مطبوعة على أن تحب ما يلذ لها ، وأن تجده حسنًا جميلًا ما لم تهتد بآيات الله ورسالته إلى الإيمان بعالم آخر باق بعد هذا العالم الفاني ، فإذا هي تجد لذاتها في أعمال وأشواق أخرى ، تصغر إلى جوارها لذائذ البطون والأجسام " .

" فالإيمان بالدار الآخرة وحده هو الذي يرجح الكفة، ويعصم من فتنة العرض الأدنى القريب في هذه الدنيا.. فلا يصلح قلب ولا حياة ولا تستقيم نفس إلا به، وإلا فما الذي يعدل في النفس البشرية الرغبة الملحة في حيازة كل عرض يلوح لها من أعراض الأرض ؟ وما الذي يحجزها عن الطمع ويكفها عن البغي؟ وما الذي يهدئ فيها هياج الرغائب وسعار الشهوات وجنون المطامع ؟ وما الذي يطمئنها في صراع الحياة الدنيا على النصيب الذي لا يضيع بفوات الحياة الدنيا ؟ وما الذي يثبتها في المعركة بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، وأعراض الأرض تفر من بين يديها وتنأى ؟ والشر يتبجح والباطل يطغى ؟ لا شيء يثبت على الغِيَر والأحداث وتقلبات الأحوال في هذا الخضم الهائج ، وفي هذه المعركة الكبرى، إلا اليقين بالآخرة "[1].

٥- أن " اليقين بالآخرة هو الضمان ليقظة القلب البشري ، وتطلعه إلى ما عند الله ، واستعلائه على أوهاق الأرض ، وترفعه على متاع الحياة الدنيا، ومراقبة الله في السر والعلن وفي الدقيق والجليل، والوصول إلى درجة الإحسان التي سئل عنها رسول الله ﷺ فقال : " الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه

(١) المصدر السابق ٤/ ١٣٨٧ .

يراك "[١]، [٢].

٦- أن الإيمان بالآخرة نعمة وهبة وفسحة في التصور : " فالإيمان بالحياة الآخرة نعمة يفيضها الإيمان على القلب، نعمة يهبها الله للفرد الفاني العاني، المحدود الأجل الواسع الأمل وما يغلق أحد على نفسه هذا المنفذ إلى الخلود ، إلا وحقيقة الحياة في روحه ناقصة أو مطموسة، فالإيمان بالآخرة - فوق أنه إيمان بعدل الله المطلق، وجزائه الأوفى- هو ذاته دلالة على فيض النفس بالحيوية، وعلى امتلاء بالحياة لا يقف عند حدود الأرض، إنما يتجاوزها إلى البقاء الطليق ، الذي لا يعلم إلا الله مداه وإلى المرتقى السامي الذي يتجه صعدًا إلى جوار الله " [٣].

" إن العقيدة في الآخرة فسحة في التصور، وسعة في النفس ، وامتداد في الحياة ضروري في تكوين النفس البشرية ذاتها ، لتصلح أن تناط بها تلك الوظيفة الكبيرة كذلك هي ضرورية لضبط النفس عن شهواتها الصغيرة ومطامعها المحدودة، ولفسحة مجال الحركة حتى لا تيئسها النتائج القريبة ولا تقعدها التضحيات الأليمة عن المضي في التبشير بالخير ، وفعل الخير والقيادة إلى الخير ، على الرغم من النتائج القريبة ، والتضحيات الأليمة.. وهي صفات ومشاعر ضرورية كذلك للنهوض بتلك الوظيفة الكبيرة . .

والاعتقاد في الآخرة مفرق طريق بين فسحة الرؤية والتصور في نفس "الإنسان" وضيق الرؤية واحتباسها في حدود الحس في إدراك " الحيوان "! وما يصلح إدراك الحيوان لقيادة البشرية ، والقيام بأمانة الله في الخلافة الراشدة! " [٤].

٧- أن" الإيمان باليوم الآخر يغير من تصورات الإنسان ومن موازينه ومن حوافزه ومن أهدافه، ويربط الحاسة الأخلاقية في نفسه بمصيره كله ، فيزيدها قوة وفاعلية ، لأن هلاكه أو نجاته مرهونة بيقظة هذه الحاسة وتأثيرها في نيته وعمله .

إن مسألة الإيمان بالآخرة مسألة أساسية في حياة البشر، إنها حاجة أكبر من

(١) سبق تخريجه .
(٢) في ظلال القرآن ٥ / ٢٧٨٤ .
(٣) المصدر السابق ١/ ٩٢ .
(٤) في ظلال القرآن ٣/ ١٤٠٨ ، وأيضًا ١٠٧٣ .

حاجات الطعام والشراب والكساء، وإنها إما أن تكون فيكون" الإنسان " وإما ألا تكون فهو حيوان من ذلك الحيوان!.

وذلك لأن " التصديق بيوم الدين شطر الإيمان ، وهو أثرذو حاسم في منهج الحياة شعورًا وسلوكًا، والميزان في يد المصدق بيوم الدين غير الميزان في يد المكذب بهذا اليوم أو المستريب فيه، ميزان الحياة والقيم والأعمال والأحداث..المصدق بيوم الدين يعمل وهو ناظر لميزان السماء لا لميزان الأرض، ولحساب الآخرة لا لحساب الدنيا ويتقبل الأحداث خيرها وشرها وفي حسابه أنها مقدمات نتائجها هناك، فيضيف إليها النتائج المرتقبة حين يزنها ويقوّمها.. والمكذب بيوم الدين يحسب كل شيء بحسب ما يقع له منه في هذه الحياة القصيرة المحدودة ، ويتحرك وحدوده هي حدود هذه الأرض وحدود هذا العمر، ومن ثم يتغير حسابه وتختلف نتائج موازينه ، وينتهي إلى نتائج خاطئة فوق ما ينحصر في مساحة من المكان ومساحة من الزمان محدودة.. وهو بائس مسكين معذب قلق " .

" فالكفر باليوم الآخر سبب للضلال وتنكب الطريق والخيلاء والبخل واختلال القيم والموازين" .

* ومما سبق اختياره من النصوص يظهر لنا أهمية الإيمان باليوم الآخر وأثر في حياة البشر، في كونه ضروري لاكتمال الشعور بأن وراء الحياة حكمة ، ومن كونه أيضًا حافزًا للعمل الصالح والخلق الطيب ، ولأنه يفيض السلام على روح المؤمن وعالمه وينفى القلق والسخط والقنوط ، ويحجز عن الصراع المحموم على الدنيا ، ويكبح الشهوات والنزوات ، و يعصم من الفتن ، ويغرس في القلب الاستعلاء على الدنيا ولذائذها ، ويفسح في تصور الإنسان لنفسه ولما حوله ، كما أنه يقيم التصورات والموازين الصحيحة للحياة " لذلك كله كان التوكيد شديدًا على عقيدة الآخرة في دين الله كله.. ثم بلغت صورة الآخرة في هذا الدين الأخير غايتها من السعة والعمق والوضوح ، حتى بات عالم الآخرة في حس الأمة المسلمة أثبت وأوضح وأعمق من عالم الدنيا الذي يعيشونه فعلًا ، وبهذا صلحت هذه الأمة لقيادة البشرية ، تلك القيادة الراشدة التي وعاها التاريخ الإنساني! " .

المبحث الثاني

مقدمات اليوم الآخر

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: الموت.

المطلب الثاني: القبر والبرزخ.

المطلب الثالث : أشراط الساعة.

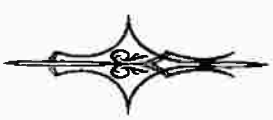

المطلب الأول

الموت ومقدماته

الفرع الأول : التوبة

لسيد قطب – رحمه الله –وقفات كثيرة في ظلال الآيات التي ورد فيها ذكر التوبة وفي مواضع أخر في كتبة ، ويمكن إيجاز ذلك في النقاط الآتية :

أولًا: فكرة الإسلام عن الخطيئة :

تحدث سيد - رحمه الله – كثيرًا عن فكرة الإسلام عن الخطيئة والتوبة مبينًا:

١ – أن الإسلام لا يقف عند حد الاعتراف في الفرد بضروراته وتنسيقها مع أشواقه ، بل يعترف للفرد بدوافع الخطأ والخطيئة ، فأما الخطأ والنسيان والإكراه فمعفي عنه : " رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " [١] ، وأما الذنب والخطيئة فباب التوبة منهما مفتوح في كل لحظة .. فإذا انزلق الفرد إلى الخطيئة لم تقطع دونه السبل: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [٢]، " إن هذا الدين ليدرك ضعف هذا المخلوق البشري الذي تهبط به ثقلة الجسد أحيانًا إلى درك الفاحشة وتهيج به فورة اللحم والدم فينزو نزوة الحيوان في حمى الشهوة ، وتدفعه نزواته وشهواته وأطماعه ورغباته إلى المخالفة عن أمر الله في حمى الاندفاع، يدرك ضعفه هذا فلا يقسو عليه ولا يبادر إلى طرده من رحمة الله حين يظلم نفسه، حين يرتكب الفاحشة .. المعصية الكبيرة.. فمادام أن شعلة الإيمان في قلبه لم تنطفئ ، وما دام يعرف أنه عبد يخطئ وأن له ربًا يغفر فما يزال بخير.. فليعثر ما شاء له ضعفه أن يعثر، فهو

---

(١) رواه : أبن ماجه بلفظ " إن الله تجاوز عن أمتي .." ٢/ ٦٥١ برقم ٢٠٤٥ ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبن ماجه ٢/ ١٧٨ ، وصحيح المشكاة برقم ٦٢٨٤ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٥٣ .

واصل في النهاية ما دام يذكر ربه ويستغفره ويقر بالعبودية له ، إن الطفل الذي يخطئ ويعرف أن السوط - لا سواه - في الدار.. سيروح آبقًا شاردًا لا يثوب إلى الدار أبدًا، فأما إذا كان يعلم أن إلى جانب السوط يدًا حانية تربت على ضعفه حين يعتذر من الذنب وتقبل عذره حين يستغفر من الخطيئة.. فإنه سيعود!.

وهكذا يأخذ الإسلام الإنسان الضعيف في لحظات ضعفه.. ويأخذ بيده ليصعد ما دام لا يصر على الخطيئة وهو يعلم أنها الخطيئة ! قال الرسول ﷺ : " ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة "[١] والإسلام لا يدعو- بهذا- إلى الترخص ولا يمجد العاثر الهابط كما هو حال " الواقعية "! إنما هو يقيل عثرة الضعف ويستجيش في النفس الحياء من الله ! فالمغفرة تخجل ولا تطمع ، وهكذا يجمع الإسلام بين الهتاف للبشرية إلى الآفاق العلى ، والرحمة بهذه البشرية التي يعلم طاقتها، ويفتح أمامها باب الرجاء أبدًا، ويأخذ بيدها إلى أقصى طاقتها "[٢].

بل يذهب الإسلام مذهبًا بعيدًا حتى ليحسبه المرء عند النظرة السريعة يزين للناس الخطيئة ليتوبوا من الخطيئة ! يقول ﷺ : " كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون "[٣].

ويقول: "والذي نفسه بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر الله لهم"[٤] وهو لا يزين الخطيئة هنا، ولكن ييسر التوبة ، ويملئ نفوس الخاطئين بالرجاء ، وينير لأرواحهم الطريق ، وهو في الوقت ذاته يفرض على ضمير الفرد الرقابة على نفسه ويحذره من الشهوات والفتن بأنواعها ، ويبين له عداوة الشيطان ومكائده والدعوة إلى اليقظة والحذر من دوافع الشر والخطيئة وعدم الاستسلام للإغواء "[٥].

---

(١) رواه : أبو داود في كتاب الصلاة باب الاستغفار ٢/ ١٧٧ برقم ١٥١٤ ، والترمذي في الدعوات ٥/ ٥٢١ برقم ٣٥٥٩ ، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ص ٣٩٣ .

(٢) في ظلال القرآن ١/ ٤٧٦- ٤٧٧ بتصرف .

(٣) رواه : الترمذي في صفة القيامة ٤/ ٥٦٩ برقم ٢٤٩٩ ، وصحيح ابن ماجه برقم ٤٢٥١ ، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ٦٠٤ .

(٤) رواه : مسلم في التوبة باب سقوط الذنوب بالاستغفار ٤/ ١٦٧٢ برقم ٢٧٤٨ ، وأحمد ٢/ ٣٠٥ .

(٥) السلام العالمي والإسلام سيد قطب ص ٤٨ - ٥٢ بتصرف .

٢- فردية الخطيئة وفردية التوبة :حيث يقرر الإسلام أن الخطيئة فردية، والتوبة فردية، في تصور واضح بسيط لا تعقيد فيه ولا غموض، ليست هنالك خطيئة مفروضة على الإنسان قبل مولده - كما تقول نظرية الكنيسة - وليست هناك تكفير لاهوتي، كالذي تقول الكنيسة من أن عيسى- عليه السلام - " ابن الله بزعمهم " قام بصلبه تخليصًا لبني آدم من خطيئة آدم !! كلا ! خطيئة آدم كانت خطيئته الشخصية، والخلاص منها كان بالتوبة المباشرة في يسر وبساطة، وخطيئة كل ولد من أولاده خطيئة كذلك شخصية ، والطريق مفتوح للتوبة في يسر وبساطة، تصور مريح صريح، يحمل كل إنسان وزره، ويوحي إلى كل إنسان بالجهد والمحاولة وعدم اليأس والقنوط :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

٣-أن باب التوبة مفتوح في كل وقت لكل ذنب : " فمن رحمة الله أن جعل باب التوبة مفتوحا للإنسان في كل لحظة، فإذا نسي ثم تذكر، وإذا عثر ثم نهض، وإذا غوى ثم تاب، وجد الباب مفتوحًا له ، وقبل الله توبته ، وأقال عثرته، فإذا استقام على طريقه بدل الله سيئاته حسنات ، وضاعف له ما شاء، ولم يجعل خطيئته الأولى لعنة مكتوبة عليه، فليست هنالك خطيئة أبدية ولا موروثة ولا تزر وازرة وزر أخرى " [2].

" والله تواب في كل وقت على من يتوب، والله رحيم في كل وقت على من يؤوب، وهو - سبحانه - يصف نفسه بصفته - توابًا رحيما - ويعد العائدين إليه قبول التوبة.. وباب الله مفتوحًا لا يغلق ووعده قائما، فمن شاء لنفسه الخير فليدلف إلى الباب المفتوح .. الذي ليس عليه بواب يمنع ولا يحتاج إلى استئذان " [3].

*أما شمول التوبة لكل الذنوب فيكفي فيها قول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ

(١) في ظلال القرآن ١/ ٦١، ٢/ ٧٥٥، ٣/ ١٢٧٤ وينظر أيضًا السلام العالمي والإسلام ص ٥٢
(٢) في ظلال القرآن ٣/ ١٢٧٤ .
(٣) في ظلال القرآن ٢/ ٦٩٦ وينظر أيضًا ١/ ٥١٥١، ١/ ٤٢٤، ٢/ ٧٥٥، ٣/ ١٦٧٨، ٦/ ٣٠٥٨.

ٱلرَّحِيمُ ﴾[١] حيث تظهر رحمة الله الواسعة التي تسع كل معصية كائنة ما كانت "[٢].

" فباب التوبة دائمًا مفتوح ، يدخل منه كل من استيقظ ضميره ، لا يصد عنه قاصد ، ولا يغلق في وجه لاجئ ، أيًا كان ، وأيًا ما ارتكب من الآثام ، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال:"أرأيت رجلًا عمل الذنوب كلها ولم يترك حاجة ولا داجة [٣] فهل له من توبة ؟ فقال : ﷺ أسلمت؟ "فقال : نعم . قال : " فافعل الخيرات واترك السيئات ، فيجعلها الله لك خيرات كلها " . قال : و غدراتي و فجراتي؟ قال: "نعم"، فما زال يكبر حتى توارى " [٤].

٤- التوبة تصلح ما فات وتقلب السيئات حسنات : وهذا من عظيم رحمة الله بعباده كما جاء في الحديث السابق " فيجعلها الله لك خيرات كلها " وقبل هذا قول الله تعالى:﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾[٥] حيث يعد التائبين المؤمنين العاملين أن يبدل ما عملوه من سيئات قبل التوبة حسنات بعدها تضاف إلى حسناتهم الجديدة وهو فيض من عطاء الله لا مقابل له من عمل العبد إلا أنه اهتدى ورجع عن الضلال، وتاب إلى حمى الله، ولاذ به بعد الشرود والتيه : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ " [٦] .

ثانيًا : شروط التوبة النافعة :

حث الله تعالى عباده على التوبة النصوح فقال سبحانه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

---

(١) المصدر السابق : ٦/ ٣٠٥٨ .

(٢) المصدر السابق : ٦/ ٣٠٥٨ .

(٣) يقصد بالحاجة (الصغيرة) ، والداجه (الكبيرة) .

(٤) رواه : المنذري في الترغيب والترهيب برقم ٣١٦٤ ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٢٢٨ .

(٥) سورة الفرقان : الآية ٧٠.

(٦) في ظلال القرآن ٦/ ٢٥٧٩ .

وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1]، فالتوبة النصوح هي : التي تنصح القلب وتخلصه، ثم لا تغشه ولا تخدعه وتخلصه من رواسب المعاصي وعكارها، وتحضه على العمل الصالح بعدها، فهذه هي التوبة النصوح، التوبة التي تظل تذكر القلب بعدها وتنصحه فلا يعود إلى الذنوب ، وهي بهذا مرجوة لتكفير السيئات" [2].

وقد أشار سيد قطب- رحمه الله – إلى قاعدة التوبة النصوح وشروطها في ظلال بعض الآيات: ومن هذه الشروط:

١ – الندم. ٢– الإقلاع عن المعصية .

٣– إتباعها بعمل صالح يثبت جديتها . ٤– أن تكون في وقت القبول .

حيث يقول سيد – رحمه الله – : " فالتوبة تبدأ بالندم والإقلاع عن المعصية ، وتنتهي بالعمل الصالح الذي يثبت أن التوبة صحيحة وأنها جدية، وهو في الوقت ذاته ينشئ التعويض الإيجابي في النفس للإقلاع عن المعصية، فالمعصية عمل وحركة ، يجب ملء فراغه بعمل مضاد وحركة ، وإلا حنت النفس إلى الخطيئة بتأثير الفراغ الذي تحسه بعد الإقلاع، وهذه لمحة في منهج التربية القرآني عجيبة تقوم على خبرة بالنفس الإنسانية عميقة، ومن أخبر من الخالق بما خلق ؟ سبحانه وتعالى! " [3].

ويقول : " وباب التوبة يظل مفتوحًا للكافر والعاصي حتى يغرغر، فإذا بلغت الروح الحلقوم فلا توبة ولا مغفرة ، فقد ذهبت الفرصة التي لا تعود " [4] . وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا

(١) سورة التحريم : الآية ٨.
(٢) في ظلال القرآن : ٦/ ٣٦١٨ بتصرف يسير .
(٣) المصدر السابق ٦/ ٢٥٨٠ .
(٤) المصدر السابق : ٦/ ٣٣٠١ .

﴿الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[١]، يدل على أن الذين يرتكبون الذنوب ويتوبون إلى الله قبل أن يتبين لهم الموت وقبل أن يدخلوا في سكراته ويحسوا أنهم على عتباته، هم الذين تقبل توبتهم لأنها توبة ندم وانخلاع من الخطيئة ونية على العمل الصالح للتكفير ...

أما التوبة عند رؤية الموت فهي توبة المضطر الذي لجت به الغواية وأحاطت به الخطيئة، توبة الذي يتوب لأنه لم يعد لديه متسع لارتكاب الذنوب ولا فسحة لمقارفة الخطيئة، وهذه لا يقبلها الله لأنها لا تنشئ صلاحًا في القلب ولا صلاحًا في الحياة ولا تدل على تبدل في الطبع ولا تغير في الاتجاه " [٢].

" وعموما فالإسلام لا يغلق الأبواب في وجه الخاطئين والخاطئات، ولا يطردهم من المجتمع إن أرادوا أن يتطهروا ، بل يفسح لهم الطريق ويشجعهم على التوبة، ويبلغ من التشجيع أن يجعل الله قبول توبتهم - متى أخلصوا فيها - حقًا عليه سبحانه يكتبه على نفسه بقوله الكريم، وليس وراء هذا الفضل زيادة لمستزيد .

" إن التوبة التي يقبلها الله ، والتي تفضل فكتب على نفسه قبولها هي التي تصدر من النفس فتدل على أنها قد أنشئت نشأة أخرى، وقد هزها الندم من الأعماق ورجها رجًا شديدًا حتى استفاقت فثابت وأنابت وهي في فسحة من العمر وبحبوحة من الأمل واستجدت رغبة حقيقية في التطهر، ونية حقيقية في سلوك طريق جديد "[٣].

" ولذا لا يجوز تعيير التائبين بما كان منهم من ذنب تابوا عنه وتطهروا منه وأصلحوا حالهم بعده، بل ينبغي مساعدتهم على استئناف حياة طيبة نظيفة تنسيهم جريمتهم، لان تذكيرهم وتعييرهم يؤذي نفوسهم، وقد يحمل البعض منهم على الانتكاس والإرتكاس واللجاج في الخطيئة وخسارة أنفسهم في الدنيا والآخرة، والإفساد في الأرض وتلويث المجتمع والنقمة عليه " [٤].

---

(١) سورة النساء : الآية ١٧-١٨.
(٢) في ظلال القرآن : ٢/ ٦٠٣-٦٠٤ بتصرف .
(٣) في ظلال القرآن: ٢/ ٦٠٤ .
(٤) المصدر السابق:١/ ٦٠٠ .

الفرع الثاني : حقيقة الموت وحتميته :

يقول سيد قطب - رحمه الله -: " تكثر الإشارة في القرآن الكريم إلى آيتي الحياة والموت، لأنهما تلمسان قلب الإنسان بشدة وعمق، ثم لأنهما الظاهرتان البارزتان المكررتان في كل ما يقع عليه حس الإنسان، وللإحياء والإماتة مدلول أكبر مما يبدو لأول مرة " (١).

فقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾(٢)، يعني: انشأ الموت والحياة، كما قال في سورة أخرى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ (٣)، فكلاهما من خلق الله وهما أمران معروفان كل المعرفة بوقوعها المتكرر، ولكنهما خافيان كل الخفاء حين يحاول البشر أن يعرفوا طبيعتهما وسرهما الخافي على الأحياء .

فما الموت ؟ وما الحياة ؟ ما حقيقتهما حين يتجاوز الإنسان لفظهما وشكلهما الذي يراه ؟ كيف دبت الحياة في الكائن الحي ؟ ما هي ؟ ومن أين جاءت ؟ وكيف تلبست بهذا الكائن فكان ؟ وكيف سارت في طريقها الذي سارت فيه بهذا الكائن أو بهذه الكائنات الأحياء ؟ وما الموت ؟ وكيف كان.. قبل دبيب الحياة، وبعد مفارقتها للأحياء ؟ إنه السر الخافي وراء الستر المسبل ، بيد الله!" (٤).

هذا الموت الذي ينتهي إليه كل حي، ما هو ؟ وكيف يقع ؟ وأي سلطان له لا يقاوم ؟ إنه قدر الله : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ (٥)، ومن ثم لا يفلت منه أحد، ولا يسبقه فيفوته أحد.. وهو حلقة في سلسلة النشأة التي لا بد أن تتكامل " (٦).

إنه الموت نهاية كل حي، ولا يتفرد بالبقاء إلا الله :﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾(٧)

---

(١) المصدر السابق: ٥/ ٣٠٩٦ .
(٢) سورة النجم : الآية ٤٤.
(٣) سورة الملك : الآية ٢.
(٤) في ظلال القرآن : ٦/ ٣٤١٦، ٣٦٣٢ بتصرف .
(٥) سورة الواقعة : الآية ٦٠.
(٦) في ظلال القرآن : ٦/ ٣٤٦٨ .
(٧) سورة الزمر : الآية ٣٠.

ففي الموت يستوي كل البشر بما فيهم محمد رسول الله ﷺ فالموت ليس نهاية المطاف، إنما هو حلقة لها ما بعدها من حلقات النشأة المقدرة المدبرة ، التي ليس شيء منها عبثًا ولا سدى" (١).

" إنه الموت الذي ينتهي إليه كل حي ، والذي لا يدفعه عن نفسه ولا عن غيره حي، الموت الذي يفرق الأحبة ، ويمضي في طريقه لا يتوقف، ولا يتلفت ، ولا يستجيب لصرخة ملهوف ، ولا لحسرة مفارق، ولا لرغبة راغب ولا لخوف خائف ! الموت الذي يصرع الجبابرة بنفس السهولة التي يصرع بها الأقزام، ويقهر بها المتسلطين كما يقهر المستضعفين سواء ! الموت الذي لا حيلة للبشر فيه وهم مع هذا لا يتدبرون القوة القاهرة التي تجريه " (٢).

ويقرر القرآن أن لكل نفس كتابًا مؤجلًا إلى أجل مرسوم، ولن تموت نفس حتى تستوفي هذا الأجل المرسوم، فالخوف والهلع والحرص والتخلف لا تطيل أجلًا، والثبات والإقدام والوفاء لا تقصر عمرًا فلا كان الجبن ولا نامت أعين الجبناء والأجل المكتوب لا ينقص منه يوم ولا يزيد ! وبذلك تستقر حقيقة الأجل في النفس ... ثم ينتقل بالنفس خطوة أخرى.. فإنه إذا كان العمر مكتوبًا والأجل مرسومًا، فلتنظر نفس ما قدمت لغد، ولتنظر نفس ماذا تريد ؟ أتريد أن تقعد عن تكاليف الإيمان وأن تحصرهما في هذه الدنيا ؟ أم تريد أن تتطلع إلى أفق أعلى وإلى اهتمامات أرفع و حياة أكبر ؟ وشتان بين حياة وحياة ! وشتان بين اهتمام واهتمام ! – مع اتحاد النتيجة بالقياس إلى العمر والأجل – فكلاهما يموت في موعده المضروب بأجله المكتوب ، ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾(٣)، وبهذا يلمس القرآن مكمن الخوف من الموت في النفس البشرية لمسة موحية تطرد ذلك الخوف ، عن طريق بيان الحقيقة الثابتة في شأن الموت وشأن الحياة وما بعد الحياة والموت من حكمة الله وتدبير ومن ابتلاء للعباد وجزاء " (٤).

---

(١) في ظلال القرآن : ٥/ ٣٠٥٠ بتصرف يسير .
(٢) المصدر السابق: ٦/ ٣٧٧٢ .
(٣) سورة آل عمران : الآية ١٤٥.
(٤) في ظلال القرآن : ١/ ٤٨٧ بتصرف، وينظر أيضًا ٢/ ٧١٦ .

" والموت غيب لا يدري إنسان متى يدركه، فبيد الله إعطاء الحياة، وبيده استرداد ما أعطى في الموعد المضروب والأجل المرسوم سواء كان الناس في بيوتهم وبين أهلهم أو في ميادين الكفاح للرزق أو للعقيدة : ﴿ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [١] ،[٢].

" ولكن ليس معنى هذا أن لا يأخذ الإنسان حذره وحيطته، ويستعد للموت عدته، فالإنسان لا يعرف متى يحين أجله فيجب عليه أن يستيقظ، فالحياة إلى نهاية، والموت الذي يفر منه فإنه ملاقيه: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾[٣]، وجاء في الحديث أن النبي - ﷺ - قال : " مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب ، تطلبه الأرض بدَيْن ، فجاء يسعى ، حتى إذا أعيا وأنهر دخل جحره فقالت له الأرض : يا ثعلب! دَيْني، فخرج له حصاص، فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه فمات " [٤]، وهي صورة متحركة موحية عميقة الإيحاء " [٥].

الفرع الثالث : سكرة الموت وقبض الأرواح :

جاءت النصوص الشرعية في الكتاب والسُّنَّة مبينة أن للموت سكرات وغمرات، وأن لحظة الاحتضار وخروج الروح من الجسد لحظة رهيبة مفزعة، وأن أحوال الناس تختلف عند الاحتضار، وقد أشار سيد - رحمه الله - في ظلال الآيات التي تتحدث عن سكرات الموت وغمراته إلى أحوال الناس عند الاحتضار، ومن ذلك :

١ - في ظلال قوله تعالى ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [٦]. يقول: " والموت أشد ما يحاول المخلوق البشري أن يروغ منه ، أو يبعد شبحه عن خاطره، ولكن أنى له ذلك، والموت طالب لا يمل الطلب ، ولا يبطئ الخطى ، ولا

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٦.
(٢) في ظلال القرآن : ١/ ٤٤٦، ٤٩٦، ٥١٦، ٧١٦ .
(٣) سورة الجمعة : الآية ٨.
(٤) رواه : الطبراني في الكبير ، مطبعة الزهراء العراق ط٢ عام ١٤٠٥ هـ، ٧/ ٢٢٢ برقم ٦٩٢٢ ،وفي سنده معاذ الهذلي ، قال العقيلي: لا يتابع على رفع حديثه ، وفيه أيضًا عنعنة الحسن وهو مدلس .
(٥) ينظر في ظلال القرآن : ٤/ ٢٣٧٧ ٦/ ٣٥٦٨ بتصرف .
(٦) سورة ق : الآية ١٩.

يخلف الميعاد، وذكر سكرة الموت كفيل برجفة تدب في الأوصال ! وبينما المشهد معروض يسمع الإنسان: ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ وإنه ليرجف لصداها وهو بعد في عالم الحياة ! فكيف به حين تقال له وهو يعاني السكرات ! وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول: " سبحان الله إن للموت لسكرات "[١]. يقولها وهو قد اختار الرفيق الأعلى واشتاق إلى لقاء الله، فكيف بمن عداه ؟ .

ويلفت النظر في التعبير ذكر كلمة الحق ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ وهي توحي بأن النفس البشرية ترى الحق كاملاً وهي في سكرات الموت ، تراه بلا حجاب ، وتدرك منه ما كانت تجهل وما كانت تجحد ، ولكن بعد فوات الأوان حين لا تنفع رؤية ، ولا يجدي إدراك ، ولا تقبل توبة ، ولا يحسب إيمان، وذلك الحق هو الذي كذبوا به فانتهوا إلى الأمر المريج ! وحين يدركونه ويصدقون به لا يجدي شيئًا ولا يفيد! "[٢].

٢- ويعقب- سيد- على وصية يعقوب -عليه السلام- لأبنائه عند موته بأنها مشهد عظيم الدلالة قوي الإيحاء، عميق التأسي حيث لم تصرفه سكرات الموت وصراعاته، وساعة الاحتضار عن الاستيثاق من أبنائه حول القضية الكبرى " العقيدة " مما يدل على أن سكرات الموت حق على كل إنسان " .

ويتحدث عن لحظة الاحتضار بقوله: " ولحظة الموت.. ترجف لها الأوصال، وهي اللحظة التي تنهي كل جدال، و يقف فيها الحي بين نهاية طريق وبداية طريق، حيث لا يملك الرجوع ولا يملك النكوص، ويصور القرآن موقف الاحتضار تصويرًا موحيًا، يرسم ظلال الموقف كله في لمسات سريعة ناطقة بكل ما فيه، وبكل ما وراءه: ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٣]، إنا

---

(١) رواه : البخاري في الرقاق باب سكرات الموت ٥/ ٢٣٨٧ برقم ٦١٤٥ .
(٢) في ظلال القرآن : ٦/ ٣٣٦ وينظر أيضًا ٢/ ٨٠٣ .
(٣) سورة الواقعة : الآية ٨٣- ٨٧ .

لنكاد نسمع صوت الحشرجة ، ونبصر تقبض الملامح ، ونحس الكرب والضيق من خلال قوله : ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴾، كما نكاد نبصر نظرة العجز وذهول اليأس في ملامح الحاضرين من خلال قوله:﴿ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾في هذه اللحظة، وقد فرغت الروح من أمر الدنيا، وخلفت وراءها الأرض وما فيها، وهي تستقبل عالمًا لا عهد لها به ، ولا تملك من أمره شيئًا إلا ما ادخرت من عمل .. وهي ترى ولا تملك الحديث عما ترى، وقد انفصلت عمن حولها وما حولها، الجسد هو الذي يراه الناظرون، وهم ينظرون ولا يرون ما يجري ولا يملكون من الأمر شيئًا.. هنا يجلل الموقف جلال الله، ورهبة حضوره سبحانه وتعالى وهو حاضر في كل وقت " [١] .

" وهي صورة عميقة مؤثرة، حين تبلغ الروح الحلقوم ، ويقف صاحبها على حافة العالم الآخر، ويقف الجميع مكتوفي الأيدي عاجزين ، لا يملكون له شيئًا، ولا يدرون ما يجري حوله ، ولا ما يجري في كيانه، ويخلص أمره كله لله ، قبل أن يفارق هذه الحياة، ويرى هو طريقه المقبل ، حين لا يملك أن يقول شيئًا عما يرى ولا أن يشير" [٢]، " ويصور مشهد الاحتضار أيضًا في موضع ثالث بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴾[٣]، فحين تبلغ الروح التراقي يكون النزع الأخير ، وتكون السكرات المذهلة، ويكون الكرب الذي تزوغ منه الأبصار ويتلفت الحاضرون حول المحتضر يتلمسون حيلة أو وسيلة لاستنقاذ الروح المكروب وتلوّى المكروب من السكرات والنزع، وبطلت كل حيلة ، وعجزت كل وسيلة ، وتبين الطريق الواحد: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾ وهو مشهد يرسم حالة الاحتضار، ومعها الجزع والحيرة واللهفة ومواجهة الحقيقة القاسية المريرة، التي لا دافع لها ولا راد " [٤].

٣- يقرر سيد - رحمه الله - أن الله تعالى أوكل إلى ملك الموت وأعوانه فيقبض

(١) في ظلال القرآن : ٦/ ٣٤٧١- ٣٤٧٢ بتصرف يسير .
(٢) المصدر السابق : ٦/ ٣٤٦٢ .
(٣) سورة القيامة : الآيات ٢٦- ٣٠.
(٤) في ظلال القرآن : ٦/ ٣٧٧٢ بتصرف .

أرواح العباد وسماهم رسلًا كما قال تعالى: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[١]، وبين في ظلال الآيات التي تتحدث عن أحوال الناس لحظة الاحتضار وكيفية قبض الأرواح:

أ- أما المؤمنون: فقد أخبر الله تعالى أن الملائكة تبشرهم بالجنة عند قبض أرواحهم بقوله: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٢].

"فمشهد احتضار المؤمنين الطيبين مشهد هين لين كريم و نفوسهم طيبة بلقاء الله، معافين من الكرب وعذاب الموت، تسلم عليهم الملائكة طمأنة لقلوبهم وترحيبا بقدومهم: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ تعجيلًا لهم بالبشرى وهم على أعتاب الآخرة، جزاء وفاقا بما كانوا يعملون "[٣].

ب- أما الكافرون والظالمون: فإن الملائكة تقبض أرواحهم في مشهد مفزع مكروب مرهوب يصوره قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[٤] "[٥].

إنها صورة الظالمين في غمرات الموت وسكراته - ولفظ غمرات يلقي ظله المكروب - والملائكة يبسطون إليهم أيديهم بالعذاب ، وهم يطلبون أرواحهم للخروج ! وهم يتابعونهم بالتأنيب..عذاب مهين.. وتأنيب فاضح .. يضفي على المشهد ظلالا مكروبه "[٦]، وأعظم من ذلك ما صوره القرآن لمشهد احتضار الكفار في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ

(١)سورة الأنعام : الآية ٦١.
(٢)سورة الأنعام : الآية ٦١.
(٣) في ظلال القرآن : ٢/ ١٠٤٤، ٤/ ٢١٦٩ بتصرف يسير .
(٤) سورة الأنعام الأية :٩٣ .
(٥) في ظلال القرآن: ٢/ ١٠٤٤، ٤/ ٢١٦٩ بتصرف يسير .
(٦) المصدر السابق: ٢/ ١٠٤٤، ٤/ ٢١٦٩ بتصرف يسير .

وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [١] ، فالملائكة تستل منهم أرواحهم في مشهد مهين يضيف المهانة والخزي إلى العذاب والموت - وهم يحتضرون - وفي نهاية حياتهم على الأرض ومستهل حياتهم الآخرى التي تفتتح بضرب الوجوه والأدبار لحظة الوفاة ، والضيق والكرب والمخافة " [٢] .

(١) سورة المائدة : الآية ٣١ .

(٢)ينظر: في ظلال القرآن : ٢/ ١٠٤٤، ٣/ ١٥٣٤ ، ٤/ ٢١٦٩ بتصرف يسير، وينظر أيضًا : ٢/ ٧٤٤، ٣/ ١٢٧٣، ٥/ ٢٩٨٢، ٦/ ٣٢٩٨ .

المطلب الثاني

القبر والبرزخ

القبر هو أول منازل الآخرة ، والحياة التي يقضيها الإنسان في قبره إلى يوم القيامة تسمى حياة البرزخ وقد أشار سيد – رحمه الله – إلى ما يتعلق بالقبر والحياة البرزخية في مواضع متعددة يمكن إجمالها في النقاط الآتية :

أولًا : مشروعية القبر:

أشار سيد – رحمه الله – إلى مشروعية دفن الميت في ظلال قوله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾[(١)]، حيث بين أن هذا كان أول حادث عدواني متعمد، وأن الفاعل لم يكن يعرف طريقة دفن الجثث، وفي بعض الروايات أن الغراب قتل غرابًا آخر، فجعل يحفر في الأرض، ثم واراه وأهال عليه التراب .. فقال القاتل قولته، وفعل مثلما رأى الغراب يفعل.. وظاهر أن القاتل لم يكن قد رأى من قبل ميتًا يدفن – وإلا لفعل "[(٢)].

وفي ظلال قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴾[(٣)] ، يقول سيد: " فأمره في نهايته كأمره في بدايته ، في يد الذي أخرجه إلى الحياة حين شاء ، وأنهى حياته حين شاء ، وجعل مثواه جوف الأرض ، كرامة له ورعاية ، ولم يجعل السُّنَّة أن يترك على ظهرها للجوارح والكواسر، وأودع فطرته الحرص على مواراة ميتة وقبره ، فكان هذا طرفًا من تدبيره له وتقديره "[(٤)].

ثانيًا : حياة البرزخ وعذاب القبر ونعيمه .

أخبر الله سبحانه وتعالى أن الفترة التي يقضيها الناس بعد موتهم إلى يوم القيامة

---

(١) في ظلال القرآن : ٢/ ٨٧٥، ٨٧٧ بتصرف .
(٢) سورة عبس : الآية ٢١.
(٣) في ظلال القرآن : ٦/ ٣٨٣١، وينظر أيضًا : ٣/ ١٢٧٠، ٤/ ٢٣٣٩، ٦/ ٣٧٩٠، ٣٧٩٣ .
(٤) سورة المؤمنون : الآية ٩٩-١٠٠ .

تسمى بالبرزخ فقال سبحانه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[1].

" حيث تصور الآيات مشهد الاحتضار، وطلب الرجعة إلى الحياة لتدارك ما فات، وبيان أن ذلك لا ينفع في هذا الموقف، حيث جاء الرد بأنها كلمة لا مدلول لها ولا يلتفت إليها فقد قضى الأمر وأسدلت الأستار.. ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ فلا هم من أهل الدنيا ولا هم من أهل الآخرة، إنما هم في ذلك البرزخ بين. بين، إلى يوم يبعثون "[2].

" وهذه الحياة البرزخية التي يقضيها الإنسان بعد موته يعيش فيها إما منعمًا أو معذبًا، وقد أشار القرآن الكريم إلى عذاب القبر لمن كان له أهلا بقوله عن قوم نوح ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[3].

يقول سيد - رحمه الله :" - فبخطيئتهم وذنوبهم ومعصيتهم أغرقوا فأدخلوا نارًا، والتعقيب بالفاء مقصود هنا، لأن إدخالهم النار موصول بإغراقهم، والفاصل الزمني القصير كأنه غير موجود، لأنه في موازين الله لا يحسب شيئًا.. وقد يكون هو عذاب القبر في الفترة القصيرة بين الدنيا والآخرة "[4].

وفي ظلال قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[5]، يقول سيد - رحمه الله - : " والنص يلهم أن عرضهم على النار غدوًا وعشيًا، هو في الفترة من بعد الموت إلى قيام الساعة، وقد يكون هذا هو عذاب القبر، إذ أنه يقول بعد هذا : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ للتعذيب برؤيتها وتوقع لذعها وحرها وهو عذاب شديد وإما لمزاولتها فعلًا. فكثيرًا ما يستعمل لفظ العرض للمس والمزاولة، وهذه أدهى.. ثم إذا كان يوم القيامة أدخلوا أشد العذاب! "[6].

---

(١) سورة المؤمنون : الآية ٩٩-١٠٠ .
(٢) في ظلال القرآن : ٤/ ٢٤٨٠-٢٤٨١ بتصرف يسير .
(٣) سورة نوح : الآية ٢٥.
(٤) في ظلال القرآن : ٦/ ٣٧١٦ .
(٥) سورة غافر : الآية ٤٦.
(٦) في ظلال القرآن : ٦/ ٣٠٨٤ .

وأما في السُّنَّة فقد استعاذ النبي -ﷺ- من عذاب القبر[١] وأخبرﷺ أن للشهيد ست خصال ومنها " ويأمن من عذاب القبر" [٢]، [٣].

ثالثا : ما ينفع الميت بعد موته

في ظلال قوله تعالى:﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[٤]، يقول سيد - رحمه الله-: " فما يحسب للإنسان إلا كسبه وسعيه وعمله، لا يزاد عليه شيء من عمل غيره، ولا ينقص منه شيء لينالـه غيره وهذه الحياة الدنيا هي الفرصة المعطاة له ليعمل ويسعى، فإذا مات ذهبت الفرصة وانقطع العمل، إلا ما نص عليه حديث رسول الله ﷺ في قوله : " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : من ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده، أو علم ينتفع به " [٥]، وهذه الثلاثة في حقيقتها من عمله .

ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي - رحمه الله - ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى ، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم ، ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ، ولا حثهم عليه ، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء ، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة - رضي الله عنهم - ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولها ومنصوص من الشارع عليهما " [٦]، [٧].

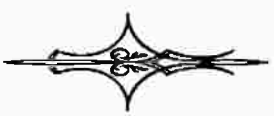

(١) رواه : البخاري في الصلاة باب قبل السلام ١/ ٢٨٦ برقم ٧٩٨ ، ومسلم في المساجد باب ما يستعاذ منه ١/ ٣٤٤، ٣٤٥ برقم ٥٨٨، ٥٩٠.

(٢) رواه : الترمذي في فضائل الجهاد ٤/ ١٦١ برقم ١٦٦٣ وابن ماجه في الجهاد ٣/ ٢٣١ برقم ٢٧٩٩ ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٤٠.

(٣) في ظلال القرآن : ٦/ ٣٩٤١، ٣٢٨٧ .

(٤) سورة النجم : الآية ٢٩.

(٥) رواه : مسلم في الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ٣/ ١٠١٦ برقم ١٦٣١ ، والترمذي في الأحكام ٣/ ٦٦٠برقم ١٣٧٦.

(٦) تفسير ابن كثير ٧/ ٣٣٤٣.

(٧) في ظلال القرآن : ٦/ ٣٤١٥ .

المطلب الثالث

أشراط الساعة

الفرع الأول : تعريف أشراط الساعة :

الـ " أشراط " : بفتح الهمزة، جمع شَرَط " بفتحتين " كقلم وأقلام، بمعنى العلامات، وقيل الشرط الردى من كل شيء .

و" الساعة " في اللغة هي : الجزء من الزمن وتسمى ساعة زمنية، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ﴾[1] " وفي عرف أهل الميقات جزء من أربعة وعشرين جزءًا من اليوم والليلة"[2].

أما الساعة الشرعية: فالمراد بها يوم القيامة، وتأتي في القرآن معرفة بأل العهد بخلاف الساعة الزمانية، وقد جمع الله بين الساعة الزمانية والشرعية في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾[3]، وسمي يوم القيامة " الساعة " لأنها كلمح البصر، ولم يكن في كلام العرب في المدد أقصر من الساعة، وقيل لأنها خفية ، أو لوقوعها بغتة ، أو لسرعة الحساب فيها" [4].

والبعض يرى أن هناك فرق بين الساعة والقيامة، فالساعة هي الوقت الذي يموت فيه الأحياء في هذا العالم ويضطرب نظامه ويخرب، والقيامة هي البعث والحشر وما يكون فيه من حساب وما يتلوه،فالساعة هي المبدأ والقيامة هي الغاية.

والمقصود بـ" أشراط الساعة : "هي العلامات التي يعقبها قيام الساعة " .

الفرع الثاني : الإيمان بقيام الساعة :

جاء في القران الكريم والسُّنَّة الشريفة الإخبار عن قيام الساعة ، وأنه أعظم

(١) سورة الأعراف : الآية ٣٤.
(٢) فتح الباري : ١١/ ٣٨٩ .
(٣) سورة الروم : الآية ٥٥.
(٤) فتح الباري : ١/ ١٢١، ١١/ ٣٨٩ وهدي الساري ص ١٣٢.

حدث يحصل في الكون، وبه تنتهي الحياة الدنيا ، والآيات والأحاديث الواردة في ذلك أكثر من أن تحصر .

وأحداث قيام الساعة وأهوالها عظام جسام لا يعلم مداها إلا الله، وقد أخبر الله تعالى وأخبر رسوله ﷺ عنها، موعظة للناس وتذكيرًا لهم ليعدوا عدتهم من الإيمان والعمل الصالح .

والإيمان بقيام الساعة يشتمل على مسائل عديدة، تحدث عنها سيد قطب ويمكن بيانها فيما يأتي :

أولًا : علم وقت قيام الساعة :

جاءت الأدلة في الكتاب والسُّنَّة على أن الله- سبحانه وتعالى - استأثر بعلم وقت قيام الساعة، فلا يعلم أحد متى الساعة إلا الله تعالى وحده ، قال سبحانه: ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢)، وغيرها من الآيات، يقول سيد -رحمه الله-: " والساعة غيب قد اختص به الله سبحانه ، ولم يشأ أن يطلع عليه أحدًا من خلقه جميعًا ، بما فيهم الرسل والملائكة المقربون، وفي حديث حقيقة الإيمان والإسلام أن جبريل -عليه السلام- قال : للنبي ﷺ ...فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل إلخ، ثم قال رسول الله ﷺ فإنه جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم " (٣).

فالمسئول رسول الله ﷺ والسائل جبريل -عليه السلام- كلاهما لا يعلم علم الساعة ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾على وجه الاختصاص والتفرد من دون عباد الله" (٤).

(١) سورة الأحزاب : الآية ٦٣.
(٢) سورة الأعراف : الآية ١٨٧ .
(٣) سبق تخريجه ص ٣٠٥ .
(٤) في ظلال القرآن : ٥/ ٢٨٨٢ بتصرف يسير .

والله سبحانه قد جعل الساعة غيبًا لا يعلمه سواه، استأثر الله به، فلم يطلع عليه أحدا من خلقه " .[١]

وإذا ثبت أن علم وقت قيام الساعة مما استأثر الله تعالى به، فإن الانشغال بتحديد عمر الدنيا بطريقة ما من الطرق يعد خوضا فيما ليس للإنسان به علم، لأنه إذا حدد عمر الدنيا فقد حدد وقت قيام الساعة وهذا مستحيل لما سبق من الأدلة " .

ثانيًا : الحكمة من إخفاء وقت الساعة وجعلها غيبًا :

أشار سيد – رحمه الله – في عدة مواضع إلى بعض الحكم من كون الساعة غيبًا، حيث يقول: " فأما الساعة فهي الوعد المرتقب للجزاء الكامل العادل ، الذي تتوجه إليه النفوس فتحسب حسابه، وتسير في الطريق وهي تراقب وتحاسب وتخشى الانزلاق، والله سبحانه يؤكد مجيئها " إن الساعة آتية " وأنه يكاد يخفيها، فعلم الناس بها قليل لا يتجاوز ما يطلعهم عليه من أمرها بقدر ما يحقق حكمته من معرفتهم ومن جهلهم، والمجهول عنصر أساسي في حياة البشر وفي تكوينهم النفسي فلا بد من مجهول في حياتهم يتطلعون إليه، ولو كان كل شيء مكشوفًا لهم وهم بهذه الفطرة لوقف نشاطهم وأسنت حياتهم ، فوراء المجهول يجرون، فيحذرون ويأملون ، ويجربون ويتعلمون، ويكشفون المخبوء من طاقاتهم وطاقات الكون من حولهم، وتعليق قلوبهم ومشاعرهم بالساعة المجهولة الموعد ، يحفظهم من الشرود فهم لا يدرون متى تأتي الساعة ، فهم من موعدها على حذر دائم وعلى استعداد دائم، ذلك لمن صحت فطرته واستقام، فأما من فسدت فطرته واتبع هواه فيغفل ويجهل ، فيسقط ومصيره إلى الردى " .

ويقول " وإنه لمن رحمة الله بالناس أن يجهلوا ما وراء اللحظة الحاضرة ليؤملوا ويعملوا وينتجوا وينشئوا ، والساعة من هذا الغيب المستور، ولو علم الناس موعدها لتوقفت عجلة الحياة ، أو اختلت ، ولما سارت الحياة وفق الخط الذي رسمته لها القدرة " .

" قدر الله هذا لحكمة يعلمها، نلمح طرفًا منها ، في ترك الناس على حذر من

(١) المصدر السابق : ٣/ ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ٥/ ٢٧٩٨ بتصرف، وينظر أيضًا :٢/ ١٠٧٣ ، ٤/ ٢١٨٥، ٥/ ٣١٢٩، ٣١٥١

أمرها ، وفي توقع دائم لها، وفي استعداد مستمر لفجأتها، ذلك لمن أراد الله له الخير وأودع قلبه التقوى دون الغافلين".

ثالثًا : قرب قيام الساعة :

أشارت بعض الآيات والأحاديث إلى قرب قيام الساعة وهذا يعني أن ما بقى من عمر الدنيا أقل مما مضى منه ، والقرب والبعد من الأمور النسبية .[١]

وقد ذكر سيد – رحمه الله – في ظلال قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[٢]، تصوير القران الكريم لقرب الساعة التي توشك أن تقع ، وهو تصوير فوق أنه صادق – بارع موح مثير – ثم أورد حديث النبيﷺ وفيه : أنه ﷺ خرج يومًا فنادى ثلاث مرات " أيها الناس أتدرون ما مثلي ومثلكم ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال ﷺ : " إنما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوًا يأتيهم فبعثوا رجلًا يتراءى لهم ، فينما هو كذلك أبصر العدو ، فاقبل لينذرهم وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه ، فأهوى بثوبه ، أيها الناس أتيتم ، أيها الناس أتيتم ، أيها الناس أتيتم " [٣] .

وقال ﷺ : " بعثت أنا والساعة جميعًا أن كادت لتسبقني " [٤] ،[٥].

*وفي ظلال قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾[٦] يقول سيد – رحمه الله – : " هل ينظرون إلا الساعة ؟ " فقد جاء أشراطها " ووجدت علاماتها ، والرسالة الأخيرة أضخم هذه العلامات، فهي إيذان بأنها النذارة الأخيرة قرب الأجل المضروب ، وقد قال رسول الله ﷺ: "بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها [٧] ، وإذا كان الزمن

(١) تفسير المنار ٩/ ٤١٠ .
(٢) سورة سبأ : الآية ٤٦ .
(٣) رواه : أحمد ٥/ ٣٤٨ ، قال الأرناؤوط صحيح لغيره ، انظرمسند أحمد بتحقيق الأرناؤوط ٣٨/ ٣٧ برقم ٢٢٩٤٨ .
(٤) رواه : أحمد ٥/ ٣٤٨ وحسنه الأرناؤوط ، المصدر السابق ٣٨/ ٣٧ .
(٥) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩١٥ .
(٦) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩١٥ .
(٧) رواه : البخاري في الرقاق باب قول – ﷺ – بعثت أنا والساعة كهاتين ٥/ ٢٣٨٥ برقم ٢١٣٨ – ٣١٤٠ ، ومسلم في الفتن باب قرب الساعة ٤/ ٧٩٤ برقم ٢٩٥١ .

يلوح ممتدًا منذ هذه الرسالة الأخيرة، فإن أيام الله غير أيامنا ، ولكنها في حساب الله قد جاءت الأشراط الأولى، وما عاد لعاقل أن يغفل حتى تأخذه الساعة بغتة حيث لا يملك صحوًا ولا ذكرًا " [١] .

* وفي ظلال قوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [٢]، يقول سيد –رحمه الله – : " مطلع باهر مثير ، على حادث كوني كبير ، وإرهاص بحادث أكبر، لا يقاس إليه ذلك الحدث الكوني... فيا له من إرهاص ! ويا له من خبر ، ولقد رأوا الحدث الأول فلم يبق إلا أن ينتظروا الحدث الأكبر . وبعد أن أورد روايات عدة حول انشقاق القمر يقول: " ونكتفي بإشارة القران الكريم إليه مع الإشارة إلى اقتراب الساعة باعتبار هذه الإشارة ، لمسة للقلب البشري ليستيقظ ويستجيب " [٣].

*ويقول سيد – رحمه الله –: فاقتراب الوعد بمعنى اقتراب الساعة قد وقع منذ زمن الرسول ﷺ فجاء في القرآن : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ والزمان في الحساب الإلهي غيره في حساب البشر، فقد تمر بين اقتراب الساعة ووقوعها ملايين السنين أو القرون، يراها البشر طويلة مديدة، وهي عند الله ومضة قصيرة " [٤].

رابعًا : استبعاد المشركين لقيام الساعة وسببه :

أشار القران الكريم في عدة آيات إلى استبعاد المشركين لقيام الساعة وشكهم فيها ، لذا راحوا يسألون الرسول ﷺ عنها ويسخرون من حديثه عن الساعة ، وقد بين سيد – رحمه الله – في ظلال بعض الآيات أسباب إنكار المشركين لقيام الساعة ومن خذه الأسباب :

١ – اندثار عقيدة الإيمان وما فيها من حساب وجزاء عند المشركين مع أنها عقيدة أصيلة في دين إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام– بسبب طول الأمد ، وبعد ما بينهم وبين أصول الإسلام الذي كان عليه إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام–،

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٢٩٥ .
(٢) سورة القمر : الآية ١ .
(٣) في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٢٥ ، ٣٤٢٧ ، ٣٤٢٧ ، ٣٤٢٨ ، بتصرف يسير .
(٤) المصدر السابق ٤/ ٢٢٩٤، ٢٣٩٨ .

حتى أصبحت غريبة في تصوراتهم ، فكانوا يعجبون منها كما حكى الله عنهم في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[١]،[٢].

٢- قصر علمهم وعدم إدراكهم لحكمة الله وتقديره ، فإنكار الذين كفروا للآخرة ناشئ من عدم إدراكهم لحكمة الله وتقديره ، فحكمة الله لا تترك الناس سدى ، يحسن منهم من يحسن ويسيء منهم من يسيء، ثم لا يلقى المحسن جزاء إحسانه ، ولا يلقى المسيء جزاء إساءته ، وقد أخبر الله على لسان رسله أنه يستبقي الجزاء كله أو بعضه للآخرة ، فكل من يدرك حكمة الله في خلقه يدرك أن الآخرة ضرورية لتحقيق وعد الله وخبره.. ولكن الذين كفروا محجوبون عن تلك الحكمة، من ثم يقولون قولتهم هذه :﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ﴾[٣]، فيرد عليهم مؤكدًا جازمًا : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾[٤].

٣- الكفر وما ينتج عنه من حجب على القلوب، فالذين لا يؤمنون لا تحس قلوبهم ، ولا تقدر ما ينتظرهم، ولذا فهم محجوبون لا يدركون، بخلاف الذين آمنوا حيث نجدهم مشفقين يخافون الساعة، وينتظرونها بوجل وخشية ، وهم يعرفون ما هي حين تكون[٥].

٤- الكبر والغرور والبطر والاغترار بالنعم، حيث أشارت الآيات القرآنية إلى أن من أسباب إنكار الآخرة واستبعاد قيام الساعة الكبر وعدم الإذعان للحق والجدال بالباطل، وكذا الاغترار بالنعمة، فغير المؤمن تستخفه النعمة فينسى الشكر، ويستطيره الرخاء فيغفل عن مصدر النعمة، وينسى الآخرة ويستبعد أن تكون[٦].

---

(١) سورة سبأ : الآية ٧-٨ .
(٢) في ظلال القرآن ٣/ ١٤٠٨ بتصرف يسير .
(٣)سورة سبأ : الآية ٣ .
(٤)سورة سبأ : الآية ٣ .
(٥) في ظلال القرآن ٥/ ٣١٥١ بتصرف ، وينظر ٥/ ٢٥٥٤ .
(٦) ينظر ذلك : في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٧٠ ، ٥/ ٣٠٩١، ٣١٢٩، ٣٢٣٣ .

الفرع الثالث : علامات وأشراط الساعة :

علامات الساعة على قسمين :

الأول : العلامات الصغرى: وهي التي تتقدم الساعة بأزمان بعيدة وتكون في أصلها معتادة الوقوع .

الثاني : العلامات الكبرى: وهي التي تقارب قيام الساعة مقاربة وشيكة سريعة، وتكون في ذاتها غير معتادة الوقوع .[١]

موقف سيد قطب من أشراط الساعة :

أما موقف سيد - رحمه الله - من أشراط الساعة فبيانه كما يأتي :

أ- موقفه من أشراط الساعة إجمالاً :

١ -أما أشراط الساعة الصغرى فلم يتعرض لها سيد- رحمه الله- تفصيلًا وإنما أشار إلى اثنين منها :

الأول : بعثة النبي ﷺ

الثاني : انشقاق القمر وقد سبق الحديث عنهما في الفرع السابق، حيث أشار سيد - رحمه الله - إلى أن بعثة النبي ﷺ وكذا انشقاق القمر من علامات الساعة، فذكر قوله ﷺ "بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بإصبعه السبابة والتي تليها "[٢]، وذكر أن انشقاق القمر من أشراط الساعة .[٣]

٢- أشراط الساعة الكبرى: أما أشراط الساعة الكبرى فقد ذكر سيد - رحمه الله - الحديث الذي يجمعها في ظلال قوله تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾[٤]، حديث : " لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس

---

(١) فتح الباري ١/ ١٢١ ، ١٨٧ واليوم الآخر في ظلال القرآن - احمد فائز - مؤسسة الرسالة ، ط٢٨ عام ١٤١٨هـ ص١٠٢ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٠٧٤ .

(٣) ينظر : في ظلال القرآن ٥/ ٢٩١٥ ، ٦/ ٣٢٩٥ ، ٣٤٢٥ ، ٣٤٢٧ ، ٣٤٢٨ .

(٤) سورة الدخان : الآية ١٠ .

من مغربها ، والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى ابن مريم ، والدجال ، وثلاثة خسوف ، خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا " [١] .

وحديث :" إن ربكم أنذركم ثلاثًا الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه ، والثانية الدابة ، والثالثة الدجال " [٢]،[٣].

ب- موقفه من أشراط الساعة تفصيلا :

١ـ الدجال : لم يتعرض سيد – رحمه الله – للحديث عن الدجال تفصيلًا، إنما ذكره في ضمن حديث العشر الآيات الذي سبق ذكره .

٢ـ نزول عيسى ـ عليه السلام ـ :

يقول سيد – رحمه الله – في ظلال قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[٤] : " وقد وردت أحاديث شتى عن نزول عيسى –عليه السلام– إلى الأرض قبيل الساعة وهو ما تشير إليه الآية : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ بمعنى أنه يُعلِم بقرب مجيئها ، والقراءة الثانية: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ بمعنى أمارة وعلامة ، وكلاهما قريب من قريب .ثم ذكر قوله ﷺ : " والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها "[٥].

وقوله ﷺ " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة،

---

(١) رواه : مسلم في الفتن وأشراط الساعة ٤/ ١٧٦٣ برقم ٢٩٠١ وأحمد ٤/ ٦ .
(٢) تفسير الطبري ١١/ ٢٢٧ .
(٣) تفسير الطبري ١١/ ٢٢٧ .
(٤) سورة الزخرف : الآية ٦١ .
(٥) رواه البخاري في الأنبياء باب نزول عيس ٣/ ١٢٧٢ برقم ٣٢٦٤ وكذا برقم ٢١٠٩ ، ٢٣٤٤ ، ومسلم في باب نزول عيسى بن مريم ١/ ١٢٢ برقم ١٥٥ .

فينزل عيسى ابن مريم ، فيقول أميرهم : تعال : صل لنا، فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله تعالى لهذه الأمة "[١] ،[٢].

٣- خروج يأجوج ومأجوج : جاء ذكر يأجوج ومأجوج في موضعين من القران الكريم :

الأول : قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾[٣].

والثاني : قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾[٤].

وأما في السُّنَّة فقد جاء ذكرهم في الحديث الذي يتحدث عن الآيات العشر " لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات وذكر منها... خروج يأجوج ومأجوج "[٥].

ويرى سيد قطب – رحمه الله – أن الآيات لا تجزم بشيء عن مكان يأجوج ومأجوج وإنما تثبت وجود قوم يسمون بـ " يأجوج ومأجوج " مفسدون في الأرض، وأن ذا القرنين وصل إلى منطقة بين حاجزين طبيعيين ، أو بين سدين صناعيين تفصلهما فجوة أو ممر، وأن قومًا ضعافًا كانوا يعيشون هناك، عرضوا عليه أن يقيم لهم سدًا في وجه يأجوج ومأجوج الذين يهاجمونهم من وراء الحاجزين ، ويغيرون عليهم من ذلك الممر، ويعيثون في الأرض فسادًا... وتبعًا للمنهج الصالح الذي أعلنه ذلك الحاكم الصالح، فقد رأى أن أيسر الطرق هي ردم الممر بين الحاجزين، فطلب من القوم أن يعينوه بقوتهم المادية والعضلية فجمعوا له قطع الحديد ، وكومها في الفتحة بين الحاجزين ، وسخنها بالنار ثم افرغ عليها النحاس ليزيد من صلابتها، وبذلك أغلق الطريق على يأجوج ومأجوج، فلم يستطيعوا أن يتسوروه أو ينقبوه "[٦].

---

(١) رواه : مسلم كتاب الإيمان باب نزول عيسى بن مريم ١/ ١٢٤ برقم ١٥٦ .
(٢) في ظلال القرآن ٥/ ٣١٩٨ ، ٣١٩٩ وينظر أيضًا : ٢/ ٨٠٢ .
(٣) سورة الكهف : الآيات ٩٤- ٩٩ .
(٤) سورة الأنبياء : الآية ٩٦ .
(٥) سبق تخريجه ص ١٠٧٦ .
(٦) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٩٢ بتصرف .

ثم يقول سيد - رحمه الله - بعد ذلك :" وبعد فمن يأجوج ومأجوج؟ وأين هم الآن؟ وماذا كان من أمرهم وماذا سيكون؟ كل هذه أسئلة تصعب الإجابة عليها على وجه التحقيق ، فنحن لا نعرف عنهم إلا ما ورد في القرآن ، وفي بعض الأثر الصحيح .

والقرآن يذكر في هذا الموضع ما حكاه من قول ذي القرنين: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾[1]، وهذا النص لا يحدد زمانًا، ووعد الله بمعنى : وعده بدك السد ربما يكون قد جاء منذ أن هجم التتار ، وانساحوا في الأرض ، ودمروا الممالك تدميرًا .

وفي موضع آخر سي سورة الأنبياء ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾[2].

وهذا النص كذلك لا يحدد زمانا معينًا لخروج يأجوج ومأجوج، فاقتراب الوعد بمعنى اقتراب الساعة قد وقع منذ زمن الرسول ﷺ فجاء في القرآن: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾[3]، والزمان في الحساب الإلهي غيره في حساب البشر، فقد تمر بين اقتراب الساعة ووقوعها ملايين السنين أو القرون ، يراها البشر طويلة مديدة ، وهي عند الله ومضة قصيرة .

وإذن فمن الجائز أن يكون السد قد فتح في الفترة ما بين: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ ويومنا هذا، وتكون غارات المغول والتتار التي اجتاحت الشرق هي انسياح يأجوج ومأجوج .

وهنالك حديث صحيح عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ قالت : " استيقظ الرسول ﷺ من نومه وهو محمر الوجه وهو يقول : " ويل للعرب من شر قد اقتربت، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا " وحلق بإصبعيه السبابة والإبهام .

---

(١) سورة الكهف : الآية ٩٨ .
(٢) سورة الأنبياء ٩٦- ٩٧ .
(٣) سورة القمر : الآية ١ .

قلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال : نعم إذا كثر الخبيث "[١] .

وقد كانت الرؤيا منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا ونصف قرن. وقد وقعت غارات التتار بعدها ، ودمرت ملك العرب بتدمير الخلافة العباسية على يد -هولاكو- في خلافة ...آخر ملوك العباسيين، وقد يكون هذا تعبير رؤيا الرسول ﷺ وعلم ذلك عند الله ، وكل ما نقوله ترجيح لا يقين "[٢].

وفي سورة الأنبياء يقول سيد : " ثم يعرض مشهدًا من مشاهد القيامة، يبدؤه بالعلامة التي تدل على قرب الموعد وهي فتح يأجوج ومأجوج ... وقد قلنا من قبل عند الكلام على يأجوج ومأجوج في قصة ذي القرنين: أن اقتراب الوعد الحق الذي يقرنه السياق بفتح يأجوج مأجوج ، ربما يكون قد وقع بانسياح التتار وتدفقهم شرقًا وغربًا ، وتحطيم المماليك والعروش، لأن القرآن قد قال منذ أيام الرسول ﷺ ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾،غير أن اقتراب الوعد الحق لا يحدد زمانًا معينًا للساعة، فحساب الزمن في تقدير الله غيره في تقدير البشر: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾، إنما المقصود هنا هو وصف ذلك اليوم حين يجيء ، والتقديم له بصورة مصغرة من مشاهد الأرض ، هي تدفق يأجوج ومأجوج من كل حدب في سرعة واضطراب "[٣].

وما ذكره سيد من القول بأن المقصود بخروج يأجوج ومأجوج قد يكون هو انسياح التتار في الأرض خلاف ما عليه جمهور أهل السُّنَّة والجماعة ، فالراجح أنهم من علامات الساعة الكبرى التي لم تأتِ بعد[٤].

---

(١) رواه : البخاري في كتاب الأنبياء باب قصة يأجوج ومأجوج ٣/ ١٢٢١ برقم ٣١٦٨ ومسلم في الفتن باب اقتراب الفتن ٤/ ١٧٤٩ برقم ٢٨٨٠ .

(٢) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٩٣-٢٢٩٤ ، وقد ذكر سيد - رحمه الله - في الهامش أنه كشف سد بمقربة من مدينة ترمز وعرف بباب الحديد وقد مر به أوائل القرن الخامس الميلادي العالم الألماني" سيلد برجر" وسجله في كتابه ، وكذا المؤرخ الاسباني "كلا فيجو" في رحلة عام ١٤٠٣م .. وقد يكون هو السد الذي بناه ذي القرنين .

(٣) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٩٨ .

(٤) يضيف الدكتور / خليل الكبيسي -حفظه الله- قائلًا " وما المانع أن يكون لهم ظهور جزئي قبل القيامة كما أخبر النبي ﷺ عنه ، وتكون علامة الساعة الكبرى هي خروجهم الكلي فلا تعارض بينهما والله أعلم " .

٤- الدخان :

في ظلال قوله تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

يقول سيد - رحمه الله - : " وقد اختلف السلف في تفسير آية الدخان :

*فقال بعضهم : إنه دخان يوم القيامة ، وإن التهديد بارتقابه كالتهديد المتكرر في القرآن، وإنه آتٍ يترقبونه ويترقبه رسول الله ﷺ .

*وقال بعضهم : بل هو قد وقع فعلًا كما توعدهم به، ثم كُشف عن المشركين بدعاء الرسول ﷺ فنذكر هنا ملخص القولين وأسانيدها، ثم نعقب بما فتح الله به ، ونحسبه صوابًا إن شاء الله .

ثم ذكر سيد - رحمه الله - حديث مسروق[2]. قال: دخلنا مسجد الكوفة -عند أبواب كندة - فإذا رجل يقص على أصحابه: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ تدرون ما الدخان؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة، فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام ، قال: فأتينا ابن مسعود- رضي الله عنه - فذكرنا ذلك له، وكان مضطجعًا ففزع فقعد ، وقال : إن الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[3] إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم : الله أعلم، أحدثكم عن ذلك، إن قريشًا لما أبطأت عن الإسلام ، واستعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان وفي رواية فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، قال الله تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾،

---

(١) سورة الدخان : الآية ١٠-١١ .

(٢) هو : مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني ،تابعي ثقة ، من أهل اليمن ،قدم المدينة في أيام أبي بكر رضي الله عنه ،وسكن الكوفة ،كان فقيها عالما بالفتيا ،توفي سنة ٦٣هـ ،انظر : سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٣ ، الأعلام ٧/ ٢١٥ .

(٣) سورة ص : الآية ٨٦ .

فأُتي رسول الله ﷺ فقيل له : " يا رسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت، فاستسقى ﷺ لهم فسقوا، فنزلت : ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾، قال ابن مسعود-رضي الله عنه-: أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة ؟فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم ، فأنزل الله عزوجل: ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾،قال : يعني يوم بدر، قال ابن مسعود -رضي الله عنه- فقد مضى خمس : الدخان، والروم، والقمر، والبطشة ، واللزام " (١).

*وقال آخرون : لم يمض الدخان بعد ، بل هو من أمارات الساعة ، كما جاء في حديث : " لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات وذكر منها : الدخان" (٢).

وكما جاء في قوله ﷺ : " إن ربكم أنذركم ثلاثًا الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه ، والثانية الدابة ، والثالثة الدجال " (٣).

وكذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما نمت الليلة حتى أصبحت، قيل : لم ؟ قال : قالوا طلع الكوكب ذو الذنب ، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق ، فما نمت حتى أصبحت " (٤).

قال ابن كثير : " وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس-رضي الله عنهما- حبر الأمة وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين- رضي الله عنهم أجمعين - مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما التي أوردوها ، مما فيه مقتنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة ، مع أنه ظاهر القرآن ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي بيّن واضح يراه كل أحد ، وعلى ما فسر به ابن مسعود - رضي الله عنه - إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد ، وهكذا قوله تعالى: ﴿ يَغْشَى

(١) رواه البخاري في التفسير ٤/ ١٨٢٣ برقم ٤٥٣٤ ، وقد واقف ابن مسعود على تفسير الآية بهذا جماعة من السلف كمجاهد وأبي العالية ، والنخعي ، والضحاك والصوفية ، واختاره ابن جرير الطبري ، ينظر : تفسير ابن جرير ١١/ ٢٢٨، في ظلال القرآن ٥/ ٣٢١٠ .

(٢) سبق تخريجه : ص ١٠٧٦ .

(٣) تفسير الطبري ١١/ ٢٢٧ .

(٤) تفسير الطبري ١١/ ٢٢٧ .

ٱلنَّاسَ ﴾أي يتغشاهم ويعميهم ، ولو كان أمرًا خياليًا يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه ﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾أي يقال لهم ذلك ، تقريعًا وتوبيخًا.. أو يقول بعضهم لبعض، وقوله تعالى:﴿ رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾أي يقول الكافرون إذا عاينوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم ، كقوله جلت عظمته: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1].

وقوله تعالى :﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾يحتمل معنيين :

أحدهما: أنه يقول: ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[2].

والثاني: أن يكون المراد : إنا مؤخرو العذاب عنكم قليلًا بعد انعقاد أسبابه ، ووصوله إليكم ، وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال ، ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون باشرهم ، كقوله تعالى: ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[3] ولم يكن العذاب باشرهم واتصل بهم ، بل كان قد انعقد سببه عليهم .

وقيل : معناه إنكم عائدون إلى عذاب الله .

وقوله تعالى﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ فسرها ابن مسعود -رضي الله عنه- بيوم بدر ووافقه جماعة ، وجماعة على أن ذلك يوم القيامة ، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: قال ابن مسعود البطشة الكبرى يوم بدر ، وأنا أقول : هي يوم القيامة "[4].

---

(١)سورة الأنعام : الآية ٢٧ .

(٢)سورة الأنعام : الآية ٢٨.

(٣)سورة يونس : الآية ٩٨.

(٤)أخرجه ابن جرير بسنده إلى ابن عباس وقال : وهذا إسناد صحيح عنه : وبه يقول الحسن البصري وعكرمة في أصح الروايتين ، انظر: تفسير الطبري ١١/ ٢٢٦.

وبعد أن ساق سيد - رحمه الله - الآثار السابقة قال: ونحن نختار قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الدخان بأنه عند يوم القيامة، وقول ابن كثير في تفسيره، فهو تهديد له نظائره الكثيرة في القرآن الكريم، في مثل هذه المناسبة، ومعناه: إنهم يشكون ويلعبون، فدعهم وارتقب ذلك اليوم المرهوب، يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس، ووصف هذا بأنه عذاب أليم، وصور استغاثتهم: ﴿ رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾، ورده عليهم باستحالة الاستجابة، فقد مضى وقتها ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾[1].

٥- الدابة:

في ظلال قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾[2]، يقول سيد - رحمه الله -: "والسياق يجول بهم في أشراط الساعة، وبعض مشاهدها ويذكر فيها ظهور الدابة التي تكلم الناس الذين كانوا لا يؤمنون بآيات الله الكونية ...

وقد ورد ذكر خروج الدابة المذكورة هنا في أحاديث كثيرة بعضها صحيح، وليس في هذا الصحيح وصف للدابة، إنما جاء وصفها في روايات لم تبلغ حد الصحة، لذلك نضرب صفحًا عن أوصافها، فما يعني شيئًا أن يكون طولها ستين ذراعًا، وأن تكون ذات زغب وريش وحافر، وأن يكون لها لحية! وأن يكون رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير.. الخ هذه الأوصاف التي افتن فيها المفسرون!.

وحسبنا أن نقف عند النص القرآني والحديث الصحيح الذي يفيد أن خروج الدابة من علامات الساعة، وأنه إذا انتهى الأجل الذي تنفع فيه التوبة، وحق القول على الباقين فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك، وإنما يقضى عليهم بما هم عليه.. عندئذ يخرج الله لهم دابة تكلمهم، والدواب لا تتكلم، أولا يفهم عنها الناس ولكنهم اليوم يفهمون، ويعلمون أنها الخارقة المنبئة باقتراب الساعة، وقد كانوا لا يؤمنون

(١) في ظلال القرآن: ٥/ ٣٢١٠-٣٢١٢ بتصرف.
(٢) سورة النمل: الآية ٨٢.

بآيات الله ، ولا يصدقون باليوم الموعود " [١].

٦- طلوع الشمس من المغرب :

ذكر سيد حديث أشراط الساعة الكبرى وفيه قوله -ﷺ-: " طلوع الشمس من مغربها " [٢].

ولكنه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾[٣].

يقول: " إنه تهديد واضح حاسم ، فقد مضت سُنَّة الله بأن يكون عذاب الاستئصال حتماً إذا جاءت الخارقة ثم لم يؤمن بها المكذبون ، والله سبحانه يقول لهم : إن ما طلبوه من الخوارق لو جاءهم بعضه لقضي عليهم بعده.. وإنه يوم تأتي بعض آيات الله تكون الخاتمة التي لا ينفع بعدها إيمان ولا عمل لنفس لم تؤمن من قبل ، ولم تكسب عملاً صالحاً في إيمانها ، فالعمل الصالح هو دائماً قرين الإيمان وترجمته في ميزان الإسلام، ولقد ورد في روايات متعددة أن المقصود بقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ هو أشراط الساعة وعلاماتها ، التي لا ينفع بعدها إيمان ولا عمل ، وعدوا من ذلك أشراطاً بعينها.. ولكن تأويل الآية على وفق السُّنَّة الجارية في هذه الحياة أولى ، فقد سبق مثله في أول السورة وهو قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ والملاحظ أن السياق يكرر وهو بصدد الكلام عن الشريعة والحاكمية ، ما جاء مثله من قبل وهو بصدد الكلام عن الإيمان والعقيدة ، وأن هذا ملحوظ ومقصود ، لتقرير حقيقة بعينها ، فأولى أن نحمل هذا الذي في آخر السورة على ما جاء من مثله في أولها من تقرير سنة الله الجارية ، وهو كاف في التأويل بدون الالتجاء إلى الإحالة على ذلك الغيب المجهول " [٤].

---

(١) في ظلال القرآن : ٥/ ٢٦٦٦-٢٦٦٧ .
(٢) سبق تخريجه ص ١٠٧٦ ، وانظر: في ظلال القرآن : ٥/ ٣٢١٠ .
(٣) سورة الأنعام : الآية ١٥٨ .
(٤) في ظلال القرآن : ٣/ ١٢٣٨- ١٢٣٩ .

- وكلام سيد - رحمه الله - في تفسير الآية له وجهه، وهو أن النص عام لم يخصص وما جاء في بعض الاحاديث فهو مثال لبعض الآيات ،وإن كان جمهور المفسرين على أن المقصود بالآية هو طلوع الشمس من مغربها "[1]، لورود أحاديث عن النبي -ﷺ- فيها بيان أن المراد هو طلوع الشمس من مغربها ، ومن ذلك :

قوله -ﷺ- : " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل "[2].

وقوله -ﷺ- : " أتدرون أين تذهب هذه الشمس ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : " إن هذه الشمس تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي ارجعي من حيث جئت ، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها ، ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ، ثم تجري ، لا يستنكر الناس شيئا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها : ارتفعي أصبحي من مغربك ، فتصبح طالعة من مغربها فقال الرسول -ﷺ- : أتدرون متى ذاك ؟ ذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن أمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا "[3].

هذه العلامات التي تعرض لها سيد - رحمه الله - بالتفصيل في ضوء الآيات التي جاء ذكرها فيها.أما بقية العلامات وهي النار والخسوفات فلم يتعرض لها بالتفصيل وإنما جاء ذكرها إجمالا في الحديث الذي جمع العشر الآيات .

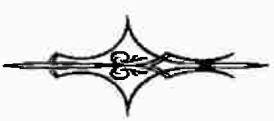

(١) ينظر : تفسير الطبري ٥/ ٤٠٤ - ٤٠٥ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٣٩٣- ١٣٩٧ .

(٢) رواه البخاري من كتاب التفسير ، باب " لا ينفع نفسا إيمانها " ٤/ ١٦٩٧ برقم ٤٣٥٩ ومسلم ، في كتاب الإيمان ، باب " الزمن الذي لا يقبل منه إيمان " ١ / ١٢٤ برقم ١٥٧ .

(٣) رواه البخاري في كتاب التوحيد ، باب " وكان عرشه على الماء " ٦/ ٢٧٠ برقم ٦٩٨٨ ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب " الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان " ١ / ٢٥برقم ١٥٩ واللفظ له .

المبحث الثالث

يوم القيامة وأحداثه

يبدأ يوم القيامة من النفخ في الصور ثم البعث والنشور ثم العرض الحساب والموازين والصراط وينتهي بالاستقرار في دار الخلود الجنة أو النار.

وفيما يلي استعراض لأحداث هذا اليوم العظيم وما فيه ومنهج سيد قطب - رحمه الله- فيها ، وذلك من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول

النفخ في الصور

النفخ في الصور هو المؤذن بقيام الساعة ، وعنه ينشأ الصعق والبعث ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[1].

وقد تكلم سيد-رحمه الله- عن النفخ في الصور موضحًا معناه وصفاته وعدد النفخات وذلك كالأتي:

أولًا: تعريف الصور :ـ

الثابت عند أهل السنة والجماعة أن الصور قرن ينفخ فيه ، وهو واحد لا اسم جمع ، ويسمى بالناقور أيضًا [2] .

وزعم بعضهم أن الصور ليس قرنًا بل صورة ، كالصوف جمع صوفة ، وهذا

(١) سورة الزمر : الآية٦٨ .
(٢) فتح الباري : ٨/ ٨٢٩ ، ١١/ ٣٧٦ .

خطأ فاحش وتحريف لكلمات الله عز وجل ، لان الله عز وجل قال : ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾- بفتح الواو - ولا نعلم أحدًا من القراء قرأها فأحسن صُوْركم -بسكون الواو - فمن قرأ : ونفخ في الصُوَر ، وقرأ : فأحسن صُوْركم ، فقد افترى وبدل[١].

ويرد أيضًا على من فسر الصور، بأنه جمع صورة، بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ فالمعلوم أن إرجاع الأرواح يكون مرة واحدة ، فهل معنى هذا أن الصور ترجع لها الروح مرتين ؟ لا شك في بطلان هذا [٢].

أما سيد - رحمه الله - فقد قرر ما عليه أهل السنة في تعريف الصور من أنه البوق الذي ينفخ فيه فقال : " الصور: هو القرن المجوف كالبوق ، غيب من ناحية ماهيته وحقيقته ، ومن ناحية كيفية استجابة الموتى له ، والروايات المأثورة تقول : هو بوق من نور ينفخ فيه ملك ، فيسمع من في القبور، حيث يهبون للنشور - وهذه هي النفخة الثانية - أما الأولى فيصعق لها من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله كما جاء في آية الزمر: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [٣] ، وهذه الأوصاف للصور ولآثار النفخة فيه تعطينا - عن يقين - أنه على غير ما يمكن أن يكون البشر قد عهدوه في هذه الأرض أو تصوروه.. وهو من ثم غيب من غيب الله.. نعلمه بقدر ما أعطانا الله من وصفه وأثره، ولا نتجاوز هذا القدر الذي لا أمان في تجاوزه، ولا يقين، إنما هي الظنون! " [٤].

ويقول في موضع أخر : " والصور البوق ينفخ فيه ،ونحن لا ندري عنه إلا اسمه ، ولا نعلم إلا أنه سينفخ فيه ، وليس لنا أن نشغل أنفسنا بكيفية ذلك ، فهي لا تزيدنا إيمانًا ولا تأثرًا بالحادث ، وقد صان الله طاقتنا عن أن تتبدد في البحث وراء هذا

---

(١)لسان العرب : ٤/ ٤٧٥ بتصرف يسير .

(٢)اليوم الآخر في القرآن والسنة د/ عبد المحسن المطيري- دار البشائر - لبنان - ط٢-عام ١٤٢٧هـ ص٢١٢ .

(٣) سورة الزمر : الآية٦٨ .

(٤) في ظلال القرآن ٢/ ١١٣٤-١١٣٥ ، وينظر : ٤/ ٢٣٥٤ .

الغيب المكنون وأعطانا منه القدر الذي ينفعنا فلا نزيد" [١].

ويسمى أيضًا بالناقور ، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾[٢]، يقول سيد -رحمه الله - : " والنقر في الناقور ، هو ما يعبر عنه في مواضع أخرى بالنفخ في الصور ، ولكن التعبير هنا أشد إيحاء بشدة الصوت ورنينه كأنه نقر يصوّت ويدوّي، والصوت الذي ينقر الآذان أشد وقعًا من الصوت الذي تسمعه الآذان " [٣].

ويسمى أيضًا بالقرن يقول سيد -رحمه الله- في ظلال قوله تعالى:﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴾[٤]: " وهو مشهد يكفي استحضاره في النفس لتقضي رحلتها كلها على الأرض في توجس وحذر وارتقاب، وقد قال رسول الله ﷺ :"كيف أنعم، وصاحب القرن قد التقم القرن ، وحنى جبهته ، وانتظر أن يؤذن له؟ " قالوا : يا رسول الله ، كيف نقول؟ قال ﷺ : " قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل " فقال القوم : حسبنا الله ونعم الوكيل " [٥] ،[٦].

ثانيًا : عدد النفخات وكيفيتها :

اختلف العلماء في عدد النفخات على أقوال :

القول الأول : أنها نفختان : نفخة الصعق ، ونفخة البعث ،واستدلوا ببعض الآيات والأحاديث مثل قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [٧]، وبحديث أبي هريرة- رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال:" بين النفختين أربعون يومًا" [٨]، وببعض

---

(١) المصدر السابق ٥/ ٢٦٦٨ ، ٦/ ٣٦٧٩، ٣٨٠٧ .

(٢) سورة المدثر : الآية ٨ .

(٣) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٥٥ .

(٤) سورة ق : الآية ٢٠ .

(٥) رواه : الترمذي في كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في الصور ٤/ ٥٣٦ برقم ٢٤٣١ ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ص ٥٧٨ .

(٦) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٦٤ .

(٧) سورة الزمر : الآية٦٨ .

(٨) رواه البخاري : في التفسير باب ونفخ في الصور ٤/ ١٨١٣ برقم ٤٥٣٦ ، ومسلم في الفتن باب ما بين النفختين ٤/ ١٧٩٦ برقم ٢٩٥٥ .

الآثار عن بعض الصحابة والتابعين "[١].

القول الثاني: أنها ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث، واستدلوا بالآيات التي ذكرت الألفاظ الثلاثة وهي:

* قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[٢].

* وقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[٣].

كما استدلوا بحديث الصور الطويل، وفيه أن النفخات الثلاث[٤]، ورجح هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية وابن كثير وغيرهما[٥].

- ويرد البعض على أصحاب هذا القول بأنه " لا يلزم من مغايرة الصعق للفزع كما ورد في الآيات أن لا يحصلا معًا في النفخة الأولى، فالناس يسمعون الصيحة الأولى فيفزعون ثم يصعقون، فهي نفخة واحدة لا اثنتان، وقد ورد في السنة ما يدل على أن النفخة الأولى يستمع إليها الناس من بعيد فيصغون لها الرؤوس ثم تزداد قوتها فيفزعون -كما في الآية - ثم يصعقون كما في الآية الأخرى"[٦].

القول الثالث: أنها أربع نفخات: قال الحافظ ابن حجر: " وزعم ابن حزم أن النفخات يوم القيامة أربع، الأولى: إماتة يموت فيها من بقى حيًا في الأرض، والثانية نفخة إحياء يقوم بها كل ميت، وينتشرون من القبور، والثالثة: نفخة فزع وصعق يفيقون منها كالمغشي عليه لا يموت منها أحد، والرابعة: نفخة إقامة من ذلك الغشي "ثم قال الحافظ: وهذا الذي ذكره من كون الثنتين أربعًا ليس بواضح، بل هما نفختان فقط، وقد قع التغاير في كل واحدة منها باعتبار من يستمعها،

(١) ممن قال بهذا: ابن عباس ومجاهد والسحن وقتادة والضحاك وغيرهم، انظر:تفسير أبن كثير ٧/ ٣٠٥٤، وفتح الباري ١١/ ٣٧٤.

(٢) سورة النمل: الآية ٨٧.

(٣) سورة الزمر: الآية ٦٨.

(٤) الحديث رواه البيهقي في البعث والنشور ص ٣٢٥.

(٥) ينظر مجموع الفتاوى ٤/ ٢٦٠، ١٦/ ٣٥، وتفسير أبن كثير ٧/ ٣٠٥٤، لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ١٦١، وفتح الباري ١١/ ٣٧٧.

(٦) ينظر: فتح الباري ١١/ ٣٧٧، تفسير القرطبي٥/ ١٥٩، ٨/ ١٨٢، ومعالم التنزيل للبغوي ٧/ ١٣١، وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٤٥٨.

فالأولى يموت بها كل من كان حيًا ،ويغشى على من لم يمت ممن استثنى الله ، والثانية : يعيش بها من مات ويفيق من غشي عليه ، والله أعلم "[١].

أما سيد قطب فيرى أن عدد النفخات ثلاث :

الأولى : نفخة الفزع والصعق :

يقول سيد - رحمه الله - :" أما في الأولى فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله كما جاء في آية الزمر: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[٢]، ويقول في ظلال قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[٣] : " وهذه هي نفخة الفزع الذي يشمل كل من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله أن يأمن ويستقر.. قيل هم الشهداء.. وفيها يصعق كل حي في السماوات والأرض إلا من شاء الله ... ويصاحب الفزع الانقلاب الكوني العام الذي تختل فيه الأفلاك، وتضطرب دورتها، ومن مظاهر هذا الاضطراب أن تسير الجبال الراسية ، وتمر كأنها السحاب في خفته وسرعته وتناثره ، وهو مشهد يتناسق مع ظل الفزع ، ويتجلى الفزع فيه، وكأنما الجبال مذعورة مع المذعورين ، مفزوعة مع المفزوعين، هائمة مع الهائمين"[٤].

وفي ظلال آية الزمر نفسها يقول سيد : " ها هي ذي الصيحة الأولى تنبعث ، فيصعق من يكون باقيًا على ظهر الأرض من الأحياء ، ومن في السماوات كذلك إلا من شاء الله ولا نعلم كم يمضي من الوقت حتى تنبعث الصيحة الثانية "[٥].

الثانية : نفخة البعث :

يقول سيد - رحمه الله -: " والصور البوق ينفخ فيه- النفخة الأولى - نفخة

---

(١) فتح الباري : ٦/ ٤٤٦ ، ١١/ ٣٧٧ .
(٢) في ظلال القرآن ٢/ ١١٣٤-١١٣٥ .
(٣) سورة النمل : الآية ٨٧ .
(٤) في ظلال القرآن ٥/ ٢٦٦٨ ، ٢٦٦٩ وينظر أيضًا ٢/ ١٢٦٦ ، ٥/ ٢٩٧١ ، ٦/ ٣٦٧٩ .
(٥) المصدر السابق ٥/ ٣٠٦٢ .

الفزع الذي يشمل كل من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، وفيها يصعق كل حي في السماوات والأرض إلا من شاء الله ، ثم تكون نفخة البعث "[١].

وفي ظلال قوله تعالى: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾[٢]، يقول سيد -رحمه الله-: " فهي تأخذهم بغتة وهم في جدالهم وخصامهم في معترك الحياة ، لا يتوقعونها ولا يحسبون لها حسابًا فإذا هم منتهون، كل على حاله التي هو عليها... " .

ثم ينفخ في الصور فإذا هم ينتفضون من القبور، ويمضون سراعًا ، وهم في دهش وذعر يتساءلون ﴿ مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾[٣] . فهذه هي النفخة الثانية نفخة البعث والقيام لرب العالمين .

الثالثة : نفخة الحشر والتجميع :

أشار سيد - رحمه الله - إلى النفخة الثالثة وسماها نفخة الحشر والتجميع في أكثر من موضع ، ففي ظلال آية الزمر ذكر الصحية الأولى التي يصعق بها كل من في السموات والأرض إلا من شاء الله ، ثم تأتي الصيحة الثانية صيحة البعث والنشور من القبور ثم قال " ولا تذكر الصيحة الثالثة صيحة الحشر والتجميع "[٤].

* وفي ظلال قوله تعالى: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ في سورة يس يقول: "فهي تأخذهم كل على حاله... ثم ينفخ في الصور فإذا هم ينتفضون من القبور... ثم إذا الصيحة الأخيرة ، صيحة واحدة فإذا هذا الشتيت الحائر المذهول المسارع في خطاه المدهوش يثوب ﴿ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ وتنتظم الصفوف وتتهيأ للاستعراض في مثل لمح البصر ورجع الصدى "[٥] .

*وفي سورة النمل يذكر سيد - رحمه الله - نفخة الفزع التي يصعق فيها كل

---

(١) المصدر السابق ٥/ ٢٦٦٨ .
(٢) سورة يس: الآية ٤٩ .
(٣) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٧٢ ، وينظر أيضًا ٥/ ٣٠٦٢، ٦/ ٣٨٠٧ .
(٤) المصدر السابق ٥/ ٣٠٦٢٥ بتصرف يسير .
(٥) المصدر السابق ٥/ ٢٩٧٢ بتصرف يسير .

من في السموات والأرض إلا من شاء الله ، ويقول ثم تكون نفخة البعث ثم نفخة الحشر ، وفي هذه يحشر الجميع ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ أذلاء مستسلمين "[١].

* وفي ظلال قوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾[٢] ، يقول سيد : " وهو مشهد يرسم حركة الجموع البشرية ، من كل لون وجنس وأرض ، ومن كل جيل وزمان وعصر، مبعوثين منشرين ، يختلطون ويضطربون في غير نظام وفي غير انتباه، تتدافع جموعهم تدافع الموج وتختلط اختلاط الموج.. ثم إذا نفخة التجمع والنظام: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ فإذا هم في الصف في نظام! "[٣].

*وفي ظلال قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾[٤]، يجمع سيد قطب بين النفخة الثانية والثالثة في نفخة واحدة فيقول : " وهذه الزجرة الواحدة يغلب بالاستناد إلى النصوص الأخرى أنها النفخة الثانية ، نفخة البعث والحشر "[٥].

ويلاحظ من كلام سيد قطب السابق في تحديد عدد النفخات أنه وإن اتفق مع أصحاب القول الثاني القائلين بأنها ثلاث إلا انه يختلف معهم في تحديدها فهم يقولون إنها : نفخة الفزع ،ونفخة الصعق ونفخة البعث ، وهو يقول : إنها نفخة الفزع والصعق ، ونفخة البعث ، ونفخة الحشر والتجميع ، حيث جعل الاثنتين الأوليين واحدة وزاد نفخة الحشر والتجميع .

كيفية النفخ في الصور: يرى سيد – رحمه الله – أن كيفية النفخ في الصور من الأمور الغيبية مثلها مثل كيفية الصور ، فيقول : " ونحن نؤمن أن هناك نفخة في الصور وهو البوق تحدث بعدها هذه الأحداث ، ولا نزيد في تفصيلها شيئًا ، لأنها غيب ، ليس عندنا من دلائله إلا مثل هذه النصوص المجملة، وليس لنا مصدر آخر

(١) المصدر السابق ٥/ ٢٦٦٨ تصرف يسير .
(٢) سورة الكهف : الآية ٩٩ .
(٣) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٩٤ ،وينظر أيضًا ٥/ ٢٣٥٢ .
(٤) سورة النازعات : الآية ١٣ – ١٤ .
(٥) في ظلال القرآن ٦/ ٣٨١٣

لتفصيل هذا الإجمال ، والتفصيل لا يزيد في حكمة النص شيئًا ، والجري وراءه عبث لا طائل تحته ، إلا إتباع الظن المنهيّ عنه أصلًا "[١].

ويقول أيضًا : " والصور: البوق . ونحن لا ندري عنه إلا اسمه ، ولا نعلم إلا أنه سينفخ فيه ، وليس لنا أن نشغل أنفسنا بكيفية ذلك، فهي لا تزيدنا إيمانًا ولا تأثرًا بالحادث ، وقد صان الله طاقتنا عن أن تتبدد في البحث وراء هذا الغيب المكنون ، وأعطانا منه القدر الذي ينفعنا فلا نزيد! "[٢].

ويقول: " والصور كذلك غيب من ناحية ماهيته وحقيقته ، ومن ناحية كيفية استجابة الموتى له .. ولكن الأوصاف له ولآثار النفخة فيه تعطينا -عن يقين- أنه على غير ما يمكن أن يكون البشر قد عهدوه في هذه الأرض أو تصوروه ، وهو من ثم غيب من غيب الله ، نعلمه بقدر ما أعطانا الله من وصفه وأثره ، ولا نتجاوز هذا القدر الذي لا أمان في تجاوزه ، ولا يقين ، إنما هي الظنون! "[٣].

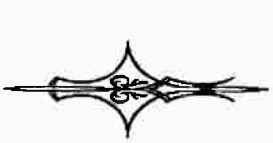

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٦٧٩ .
(٢) المصدر السابق ٦/ ٣٨٠٧ .
(٣) المصدر السابق ٢/ ١١٣٤-١١٣٥ بتصرف يسير .

المطلب الثاني

أولًا: تعريف البعث والنشور :

البعث والنشور لفظان مترادفان وأصل البعث إثارة الشيء عن جفاءٍ وتحريكه عن سكون [١]

والمراد بالبعث هنا : إحياء الأموات يوم القيامة[٢].

أما النشور: فهو البعث والإحياء بعد الإماتة أيضًا، يقال نشر الله الموتى: أي أحياهم[٣].

ثانيًا : حتمية البعث :

يقول سيد - رحمه الله -: " قضية البعث والحساب والجزاء في الدار الآخرة من قضايا العقيدة الأساسية ، التي جاء بها الإسلام، والتي يقوم عليها بناء هذه العقيدة بعد قضية وحدانية الألوهية ، والتي لا يقوم هذا الدين - عقيدة وتصورًا ، وخلقًا وسلوكًا ، وشريعة ونظامًا - إلا عليها و بها " [٤].

ويقول :" والإيمان بالبعث والحشر ، وبالحساب والجزاء ، عنصر أصيل في العقيدة ، لا يستقيم منهجها في الحياة إلا به ، فلا بد من عالم مرتقب ، يكمل فيه الجزاء ، ويتناسق فيه العمل والأجر، ويتعلق به القلب ، وتحسب حسابه النفس ، ويقيم الإنسان نشاطه في هذه الأرض على أساس ما ينتظره هناك .

---

(١)لسان العرب ٢/ ١١٦ ،ومعجم مقاييس اللغة ١/ ٢٦٦ ، وتفسير الطبري ٢/ ٨٤،وفتح الباري ١١/ ٣٩٣.

(٢)فتح الباري ١١/ ٣٩٣ ،شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص ١١٥ .

(٣)فتح الباري ١١/ ١١٤ .

(٤) ٤في ظلال القرآن ٢/ ١٠٦٨ .

ولقد وقفت البشرية في أجيالها المختلفة ورسالاتها المتوالية موقفًا عجيبًا من قضية البعث والدار الآخرة على بساطتها وضرورتها ، فكان أعجب ما تدهش له أن ينبئها رسول أن هناك بعثًا بعد الموت وحياة بعد الدثور "[١].

" ولقد كانت قضية البعث دائمًا هي مشكلة العقيدة عند كثير من الأقوام منذ أن أرسل الله الرسل للناس، يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، ويخوفونهم حساب الله يوم البعث والحساب "[٢].

وبناء على ذلك " فقد كانت قضية البعث مثار جدل طويل بين الرسول ﷺ والمشركين ، واشتمل القرآن الكريم على الكثير من هذا الجدل ، مع بساطة هذه القضية ووضوحها عند من يتصور طبيعة الحياة والموت ، وطبيعة البعث والحشر، ولقد عرضها القرآن الكريم في هذا الضوء مرات ، ولكن القوم لم يكونوا يتصورونها بهذا الوضوح وبتلك البساطة، فكان يصعب عليهم تصور البعث بعد البلى والفناء المسلط على الأجسام "[٣].

" والسبب في ذلك : أنهم لم يكونوا يتدبرون نشأتهم الأولى ، ويغفلون عن معجزة الحياة الأولى ، ويغفلون عن طبيعة القدرة الإلهية وأنها لا تقاس إلى تصورات البشر وطاقتهم ، وأن إيجاد شيء لا يكلف تلك القدرة شيئًا ، فيكفي أن تتوجه الإرادة إلى كون الشيء فيكون .

وغفلوا كذلك عن حكمة الله في البعث.. ليتم الجزاء في الآخرة على ما كان من الناس في الدنيا بالإضافة إلى جهل المشركين بنواميس الله الخاصة بخلق الإنسان على هذا النحو من القدرة على الاختيار والاتجاه.. وجهلهم بسنن الله في الرسالات والمعجزات والعذاب جعلهم يتسألون عن تأخر البعث والقيامة "[٤].

لذلك نجد أن المنهج القرآني اعتنى بتقرير البعث والحساب - عناية واضحة - مقررًا أهمية البعث ومؤكدًا لوقوعه في كثير من الآيات ، ومناقشًا لشبهات المشركين

---

(١)المصدر السابق ٥/ ٢٦٦١ .

(٢)المصدر السابق ٤/ ٢١٧١ .

(٣) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٣٣ ،وينظر أيضًا ٣/ ١٤٠٨ ، ٤/ ٢١٨٥، ٢٨٨٨ .

(٤) المصدر السابق ٤/ ١٨٥٩ ، ٢١٧١ ، ٢٢٣٣ بتصرف .

الذين أنكروا البعث واستبعدوا حدوثه مدللًا على وقوع البعث بأنواع من الأدلة ، وهي ما نعرض له في الفقرة الآتية .

ثالثًا : أدلة البعث :

الدليل الأول : الاستدلال بالنشأة الأولى :

كثيرًا ما يربط القرآن الكريم بين البدء والإعادة وهو يناقش مقولات المنكرين للبعث ويرد عليهم ، حيث يبين أن حقيقة البعث والمآب طرف من الحق الأكبر الذي يقوم عليه الوجود ،يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[١]، في حقيقة بسيطة واضحة ، والترابط والتناسق بين جزئيها أو بين حلقتيها واضح كذلك ، فالإعادة كالبدء لا غرابة فيها ، وهما حلقتان في سلسلة النشأة مترابطتان لا انفصام بينهما ، والرجعة في النهاية إلى رب العالمين ، الذي أنشأ النشأة الأولى والنشأة الآخرة "[٢].

" والمنهج القرآني يجعل حقيقة النشأة الأولى دليلًا على البعث ولهذا يكثر من مواجهة المشركين بهذا السؤال ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾[٣]، وذلك لأن بدء الخلق حقيقة واقعة لا يملك أحد إنكارها ، ولا يمكن لأحد تعليلها بغير وجود الله ووحدانيته ، وجوده لأن وجود هذا الكون ملجئ للإقرار بوجوده وقد باءت بالفشل المنطقي كل محاولة لتعليل وجود هذا الكون على هذا النحو الذي يظهر فيه التدبير والقصد بغير الإقرار بوجود الله ، ووحدانيته لأن آثار صنعته ملجئة للإقرار بوحدانيته، فعليها آثار التقدير الواحد ، والتدبير الواحد..

فأما إعادة الخلق فهذه التي كانوا يجادلون فيها ويمارون ، ولكن الإقرار ببدء الخلق على هذا النحو الذي يظهر فيه التقدير والتدبير والقصد والتنسيق ملجئ كذلك للتصديق بإعادة الخلق ، ليلقوا جزاءهم الحق على أعمالهم في دار الفناء .. ومن هذا التلازم بين الإقرار بمبدأ الحياة والإقرار بمعيدها يسألهم ذلك السؤال:

---

(١) سورة الروم : الآية ١١ .
(٢) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٦١ .
(٣) سورة النمل : الآية ٦٤ .

﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

وإنهم ليعجزون عن البرهان.. وهذه طريقة القرآن في الجدل عن العقيدة، يستخدم حقائق الكون النفس، ويوقظ الفطرة ويستجيش المشاعر والوجدان بما هو مركوز فيها من الحقائق التي تغشيها الغفلة، ويحجبها الجحود والكفران، ويصل إلى تقرير الحقائق بطريقة لا تقبل المراء الذي يقود إليه المنطق الذهني البارد، الذي انتقلت عدواه إلينا من المنطق الإغريقي، وفشا فيما يسمى علم التوحيد، أو علم الكلام! "[1].

وقد جاءت آيات عدة ترد على مقولات الكفار في استبعاد البعث منها:

١- قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[2].

يقول سيد- رحمه الله-: " والآيات تبدأ بمواجهة الإنسان بواقعه هو ذاته في خاصة نفسه، وهذا الواقع يصور نشأته وصيرورته مما يراه واقعًا في حياته، ويشهده بعينه وحسه مكررًا معادًا، ثم لا ينتبه إلى دلالته، ولا يتخذ منه مصداقًا لوعد الله ببعثه ونشوره بعد موته ودثوره..

فما النطفة التي لا يشك الإنسان في أنها أصله القريب؟ إنها نقطة من ماء مهين، لا قوام لها ولا قيمة! نقطة من ماء تحوي ألوف الخلايا.. خلية واحدة من هذه الألوف هي التي تصير جنينًا، ثم تصير هذا الإنسان الذي يجادل ربه ويخاصمه ويطلب منه البرهان والدليل!.

والقدرة الخالقة هي التي تجعل من هذه النطفة ذلك الخصيم المبين، وما أبعد النقلة بين المنشأ والمصير! أفهذه القدرة يستعظم الإنسان عليها أن تعيده وتنشره بعد البلى و الدثور؟ ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٦٦٠-٢٦٦١ بتصرف.
(٢) سورة يس: الآية ٧٧-٧٩.

﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ يا للبساطة ! ويا لمنطق الفطرة ! ومنطق الواقع القريب المنظور! .

وهل تزيد النطفة حيوية أو قدرة أو قيمة على العظم الرميم المفتوت ؟ أو ليس من تلك النطفة كان الإنسان؟ أو ليست هذه هي النشأة الأولى؟ أو ليس الذي حول تلك النطفة إنسانًا وجعله خصيمًا مبينًا بقادر على أن يحول العظم الرميم مخلوقًا حيًا جديدًا ؟ إن الأمر أيسر وأظهر من أن يدور حوله سؤال، فما بال الجدل الطويل؟!"[1].

٢-قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[2].

إن هذا الأمر أمر النشأة الأولى ونهايتها، أمر الخلق وأمر الموت، إنه أمر منظور ومألوف وواقع في حياة الناس، فكيف لا يصدقون أن الله خلقهم ؟ إن ضغط هذه الحقيقة على الفطرة أضخم وأثقل من أن يقف له الكيان البشري أو يجادل فيه .. إن دور البشر في أمر هذا الخلق لا يزيد على أن يودع الرجل ما يُمنى رحمَ امرأة، ثم ينقطع عمله وعملها، وتأخذ يد القدرة في العمل وحدها.. وهذا القدر من التأمل يدركه كل إنسان، وهذا يكفي لتقدير هذه المعجزة.. فقصة هذه الخلية منذ أن تمنى ، إلى أن تصير خلقًا ، قصة أغرب من الخيال ، لولا أنها تقع فعلًا، ويشهدها الإنسان!..والنهاية فلا تقل إعجازًا، وإن كانت مثلها من مشاهدات البشر المألوفة ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ فهو حلقة في سلسلة النشأة التي لا بد أن تتكامل.. فإذا جاء الأجل المضروب كانت النشأة الآخرى﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾في ذلك العالم المغيب المجهول.. تكون النشأة الآخرة ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ فهي قريب من قريب، وليس فيها من غريب.

بهذه البساطة وبهذه السهولة يعرض القرآن قصة النشأة الأولى والنشأة الآخرة،

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٧٧ .

(٢)سورة الواقعة : الآية ٥٧-٦٢ .

وبهذه البساطة وهذه السهولة يقف الفطرة أمام المنطق الذي تعرفه ، ولا تملك أن تجادل فيه ، لأنه مأخوذ من بديهياتها هي ومن مشاهدات البشر في حياتهم القريبة ، بلا تعقيد ولا تجريد ولا فلسفة تكد الأذهان ، ولا تبلغ إلى الوجدان، إنها طريقة الله مبدع الكون وخالق الإنسان ومنزل القرآن" [١].

٣-قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾[٢].

يقول سيد - رحمه الله - : " إن كانوا يشكون في إعادة الحياة فليتدبروا كيف تنشأ الحياة ، ولينظروا في أنفسهم ، وفي الأرض من حولهم ، حيث تنطق لهم الدلائل بأن الأمر مألوف ميسور...

إن البعث إعادة لحياة كانت، فهو في تقدير البشر أيسر من إنشاء الحياة ، وإن لم يكن بالقياس إلى قدرة الله شيء أيسر ولا شيء أصعب ، فالبدء كالإعادة أثر لتوجه الإرادة " إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون" ولكن القرآن يأخذ البشر بمقاييسهم ، ومنطقهم ، وإدراكهم ، فيوجه قلوبهم إلى تدبر المشهود المعهود لهم ، وهو يقع لهم كل لحظة ، ويمر بهم في كل برهة ..

فما هؤلاء الناس ؟ ما هم ؟ من أين جاءوا ؟ وكيف كانوا ؟ وفي أي الأطوار مروا ؟ ﴿ مِّن تُرَابٍ ﴾ : ولكن أين التراب وأين الإنسان ؟.. نقلة ضخمة بعيدة الأغوار والآماد ، تشهد بالقدرة التي لا يعجزها البعث ، وهي أنشأت ذلك الخلق من تراب ﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ ﴾ والمسافة بين عناصر التراب والنطفة مسافة هائلة .. وتحول النقطة إلى علقة ثم مضغة ثم إنسان مركب معجزة تدل على القدرة الإلهية .. فدلالة هذه الأطوار على البعث دلالة مزدوجة.. فهي تدل على البعث من ناحية

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٣٤٦٧-٣٤٦٨ بتصرف .

(٢) سورة الحج : الآية ٥ .

أن القادر على الإنشاء قادر على الإعادة، وهي تدل على البعث لأن الإرادة المدبرة تكمل تطوير الإنسان في الدار الآخرة "[١].

٤ - قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْيِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[٣].

حيث وقف سيد - رحمه الله - في ظلال هذه الآيات مبينًا منهج القرآن الكريم في الاستدلال بالنشأة الأولى على قدرة الله على البعث والنشور بعد الموت[٤].

الدليل الثاني: الاستدلال بخلق ما هو أعظم من خلق الإنسان:

فالذي قدر على أن يخلق الأعظم، قادر على أن يخلق ما دونه مع أنه يساوي الجميع في حق الله تعالى، ومن ذلك:

* قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾[٥]، " فالقرآن يجادلهم بالمنطق الواقعي الذي يرونه فيغفلونه.. فأية غرابة في البعث، والله خالق هذا الكون الهائل قادر على أن يخلق مثلهم، فهو قادر إذًا على أن يعيدهم "[٦].

* وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٧]، " فالآية تعرض دلائل القدرة، وتبسط قضية الخلق

---

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٤٠٩-٢٤١١ بتصرف.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٤٩-٥٢.
(٣) سورة القيامة: الآية ٣٦-٤٠.
(٤) ينظر في ذلك: في ظلال القرآن ٤/ ٢١٧١-٢١٧٢، ٢٢٣٣، ٦/ ٣٧٥٤-٣٧٥٥.
(٥) سورة الإسراء: الآية ٩٩.
(٦) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٥٢.
(٧) سورة يس: الآية ٨١.

والإيمان والإعادة للبشر أجمعين.. فالسموات والأرض خلق عجيب هائل دقيق، في أحجامها ومكوناتها ،ودقتها.. فأين الناس من ذلك الخلق الهائل العجيب؟"، فالله سبحانه وتعالى يخلق هذا وذلك وغيرهما بلا كلفة ولا جهد ولا يختلف بالقياس إليه خلق الكبير والصغير " إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون " يكون هذا الشيء سماءً أو أرضًا ، ويكون بعوضة أو نملة ، هذا وذلك سواء أمام الكلمة.. كن .. فيكون ! ليس هناك صعب ولا سهل، وليس قريب ولا بعيد ، فتوجه الإرادة لخلق الشيء كافٍ وحده لوجوده كائنًا ما يكون إنما يقرب الله للبشر الأمور ليدركوها بمقياسهم البشري المحدود "[1].

*وقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴾[2].

يقول سيد – رحمه الله –: " بعد أن ذكر الله الملائكة وذكر السماوات والأرض وما بينها ، وذكر الكواكب التي تزين السماء الدنيا ، وذكر الشياطين المردة والقذائف التي تلاحقها ، يكلف الرسول ﷺ أن يسألهم أهم أشد خلقًا أم هذه الخلائق ؟ وإذا كانت هذه الخلائق أشد وأقوى ففيم يدهشون لقضية البعث ويسخرون منها، ويستبعدون وقوعها ، وهي لا تقاس إلى خلق تلك الخلائق الكبرى.. فاستفتهم واسألهم إذا كانت الملائكة والسماوات والأرض وما بينهما والشياطين والكواكب والشهب كلها من خلق الله ، فهل خلقهم هم أشد وأصعب من خلق هذه الأكوان والخلائق؟ ولا ينتظر منهم جوابًا، فالأمر ظاهر، إنما هو سؤال الاستنكار والتعجب من حالهم العجيب ، وغفلتهم عما حولهم ، والسخرية من تقديرهم للأمور.. وغفلتهم عن آثار القدرة الإلهية فيما حولهم، واستبعداهم للبعث، وما في هذا البعث من غريب على تلك القدرة الإلهية ولا بعيد لمن يتأمل الواقع وما يحيط

(١)في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٧٧-٢٩٧٨ .
(٢) سورة الصافات : الآية ١١-١٨ .

به "[١].

* وقوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾[٢].

يقول سيد- رحمه الله- : " وهو استفهام لا يحتمل إلا إجابة واحدة بالتسليم الذي لا يقبل الجدل ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴾ السماء ! بلا جدال ولا كلام ! فما الذي يغركم من قوتكم والسماء أشد خلقًا منكم، والذي خلقها أشد منها؟ هذا جانب من إيحاء السؤال .

وهناك جانب آخر، فما الذي تستصعبونه من أمر بعثكم ؟ وهو خلق السماء وهي أشد من خلقكم؛ وبعثكم هو إعادة لخلقكم، والذي بنى السماء وهي أشد، قادر على إعادتكم وهي أيسر!"[٣].

* وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٤] "وهي لفتة إلى كتاب الكون المنظور، الذي يشهد بالقدرة المبدعة ويوحي بيسر الإحياء بعد الموت "[٥].

- إذًا فعجيب أمر قوم ينكرون البعث وهم يرون الآيات الضخام ، وعجائب الكون الدالة على قدرة الخالق -جل وعلا- وحكمته الناطقة بان من مقتضيات هذه الحكمة أن يكون هناك وحي لتبصير الناس، وأن يكون هناك بعث لحساب الناس، وأن من مقتضيات تلك القدرة أن تكون مستطيعة بعث الناس ورجعهم فالذي خلق هذا الكون الضخم ودبره على هذا النحو، قادر على إعادة الأناسي في بعث جديد[٦].

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٨٤-٢٩٨٥ بتصرف .
(٢) سورة النازعات : الآية ٢٧-٣٢ .
(٣) في ظلال القرآن ٦/ ٣٨١٦ .
(٤) سورة الأحقاف : الآية ٣٣ .
(٥) في ظلال القرآن ٥/ ٢٣٧٤ بتصرف يسير .
(٦) المصدر السابق ٤/ ٢٠٤٤، ٢٠٤٧ بتصرف .

وعمومًا فالقرآن الكريم يجعل من الكون وما فيه من مخلوقات عظمية دليلًا كونيًا على يسر الخلق وسهولة البعث ، فقدرة الله يستوي عندها الواحد والكثير، والكبير والصغير، فهي لا تبذل جهدًا في خلق الأشياء ،إنما هي الكلمة والمشيئة ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ وعندئذ يستوي خلق الواحد وخلق الملايين ، وبعث النفس الواحدة وبعث الملايين قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٧] ،[٨].

الدليل الثالث : الاستدلال بإحياء الأرض الميتة بالمطر :

من البراهين التي جاءت في القرآن الكريم في معرض الاستدلال على قضية البعث : الاستدلال بإحياء الأرض الميتة بالمطر، حيث جاء ذلك البرهان في كثير من الآيات منها :

١- قال تعالى : ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٩].

يقول سيد - رحمه الله -: " السياق يقرر أن الله هو الذي يرسل الرياح، وينزل المطر، ويحيي الأرض بعد موتها، وكذلك يحيي الموتى فيبعثون ، سنة واحدة ، وطريقة واحدة ، وحلقات في سلسلة الناموس الكبير...إنها حقيقة واقعة منظورة، لا تحتاج إلى أكثر من النظر والتدبر، ومن ثم يتخذها برهانًا على قضية البعث والإحياء في الآخرة، على طريقة الجدل القرآني ، الذي يتخذ من مشاهد الكون المنظورة وواقع الحياة المشهودة ، مادته وبرهانه، ويجعل من ساحة الكون العريض مجاله وميدانه ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهذه آثار رحمة الله في الأرض تنطق بصدق هذا الوعد وتؤكد هذا المصير "[١٠].

٢- قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ

(٧) سورة لقمان : الآية ٢٨ .
(٨) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٩٥ بتصرف .
(٩) سورة الروم : الآية ٥٠ .
(١٠) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٧٥ بتصرف يسير .

مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾[١].

عملية دائبة لا تكف ولا تني لحظة واحدة من لحظات الليل والنهار في كل مكان، على سطح الأرض، وفي أجواز الفضاء، وفي أعماق البحار.. ففي كل لحظة يتم هذا التحول، بل هذه المعجزة الخارقة التي لا ننتبه إليها لطول الألفة والتكرار، في كل لحظة يخرج حي من ميت ويخرج ميت من حي، ويتحرك برعم ساكن في جوف حبة أو نواة فيفلقها ويخرج إلى وجه الحياة، وفي كل لحظة يجف عود أو شجرة تستوفي أجلها فتتحول إلى هشيم، ومن الهشيم توجد الحبة الجديدة المتهيئة للحياة والإنبات..إنها دورة دائبة عجيبة رهيبة لن يتأملها بالحس الواعي والقلب البصير ﴿ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ فالأمر عادي واقعي لا غرابة فيه، وليس بدعًا مما يشهده الكون في كل لحظة من لحظات الليل والنهار في كل مكان! "[٢]. " إن إحياء الموتى إعادة للحياة، والذي أنشأ الحياة الأولى في نفس والأرض والنبات قادر على أن ينشاها مرة أخرى "[٣].

٣- قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾[٤].

يقول سيد - رحمه الله - : " وهذا المشهد يتردد في معرض دلائل الإيمان الكونية في القرآن، مشهد الرياح والسحاب والمطر الذي يحي الأرض الميتة، وهي خارقة تحدث كل لحظة، والناس في غفلة عن العجب العاجب فيها، مع وقوعها في كل لحظة يستبعدون النشور في الآخرة، وهو يقع بين أيديهم في الدنيا، " كذلك النشور " في بساطة ويسر، وبلا تعقيد ولا جدل بعيد! "[٥].

٤- قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٦]، وقوله تعالى:

(١) سورة الروم: الآية ١٩.
(٢) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٦٢-٢٧٦٣ بتصرف.
(٣) المصدر السابق ٤/ ٢٤١٠-٢٤١١ بتصرف.
(٤) سورة فاطر: الآية ٩.
(٥) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٢٩ بتصرف يسير.
(٦) سورة فصلت: الآية ٣٩.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾[1]، فالآيات تشير إلى الموتى، وتتخذ من إحياء الأرض نموذجًا ودليلا .. ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، ويتكرر في القرآن الكريم عرض مثل هذا المشهد واتخاذه نموذجًا للإحياء في الآخرة ودليلا على القدرة، فمشهد الحياة في الأرض قريب من كل قلب لأنه يلمس القلوب قبل أن يلمس العقول، والحياة تنبض من بين الأموات، وتوحي بالقدرة المنشئة إيحاءً خفيًا في أعماق الشعور، والقرآن الكريم يخاطب الفطرة بلغتها من أقرب طريق "[2].

٥- وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾[3]، يقول سيد - رحمه الله - : " يمضي السياق في عرض صفحات الحق في كتاب الكون، في طريقه إلى قضية الإحياء والبعث، من خلال عرض آية الماء والنبات لينتهي إلى الهدف الأخير ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ فهي عملية دائمة التكرار، مألوفة للناس، ولكنهم لا ينتبهون إليها، ولا يلحظونها قبل الاعتراض والتعجب، كذلك الخروج ،على هذه الوتيرة، وبهذه السهولة "[4].

الدليل الرابع : الاستدلال بإحياء الله لبعض الموتى في الدنيا :

حيث وردت عدة قصص في القرآن الكريم لإحياء الله لبعض الموتى من المخلوقات إنسانًا وطيرًا وحيوانات، وقد أشار سيد - رحمه الله - في ظلال الآيات التي تحدثت عن إحياء الله لبعض الموتى إلى دلالتها على البعث والنشور .

* ففي ظلال قوله تعالى في قصة أصحاب الكهف: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾[5]، يقول سيد- رحمه الله -: "إن العبرة في خاتمة هؤلاء الفتية هي دلالتها على البعث بمثلٍ واقعيٍ قريبٍ محسوسٍ،

(١) سورة الحج : الآية ٥ .
(٢) في ظلال القرآن ٥/ ٣١٢٦، ٦/ ٣٧١٤ بتصرف .
(٣) سورة ق : الآية ٩-١١ .
(٤) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٦٠-٣٣٦١ بتصرف .
(٥) سورة الكهف : الآية ٢١ .

يقرب إلى الناس قضية البعث ، فيعلموا أن وعد الله بالبعث حق ، وأن الساعة لا ريب فيها.. وعلى هذا النحو بعث الفتية من نومتهم وأعثر قومهم عليهم" (١).

*وفي ظلال قوله تعالى في قصة بنى إسرائيل: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢)، يقول سيد -رحمه الله - : "وهنا نصل إلى الجانب الثاني من جوانب القصة، جانب دلالتها على قدرة الخالق، وحقيقة البعث ، وطبيعة الموت والحياة،...إنها مجرد وسيلة تكشف لهم عن قدرة الله التي لا يعرف البشر كيف تعمل ، فهم يشاهدون أثارها ولا يدركون كنهها ﴿كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ كذلك بمثل هذا الذي ترونه واقعًا ولا تدرون كيف وقع، وبمثل هذا اليسر الذي لا مشقة فيه ولا عسر" (٣).

*ومن ذلك قصة الرجل الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٤)، " فهذا القائل يعرف أن الله هناك ، ولكن مشهد البلى جعله يحار كيف تدب الحياة في هذا الموات؟ لم يقل له كيف ، إنما أراه في عالم الواقع كيف!﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾ فالمشاعر تكون أحيانًا من العمق بحيث لا تعالج بالبرهان العقلي والمنطق الوجداني، ولا بالواقع العام الذي يراه العيان، إنما يكون العلاج بالتجربة الشخصية الذاتية المباشرة، التي يمتلئ بها الحس ويطمئن بها القلب ، دون كلام ! فأدرك كيف يحي الله الموتى ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥).

* ومثل هذا قصة سؤال إبراهيم ربه أن يريه كيف يحي الله الموتى ، قال تعالى:

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٦٤ .
(٢) سورة البقرة : الآية ٧٣ .
(٣) في ظلال القرآن ١/ ٧٩-٨٠ بتصرف .
(٤) سورة البقرة : الآية ٢٥٩ .
(٥) في ظلال القرآن ١/ ٢٩٩-٣٠٠ بتصرف .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [١]، " وقد استجاب الله لهذا الشوق والتطلع من إبراهيم – عليه السلام – ومنحه التجربة الذاتية المباشرة " [٢].

الدليل الخامس : تنزه الله عن العبث :

إن الذين ينكرون البعث ويرونه أمرًا عسيرًا بعد الموت والبلى وتفرق الأشلاء، إنما غفلوا – كما سبق – عن معجزة الحياة الأولى ، وغفلوا عن طبيعة القدرة الإلهية التي لا تقاس إلى تصورات البشر وطاقاتهم ، وكذلك غفلوا عن حكمة الله في البعث ، فهذه الدنيا لا يبلغ أمر فيها تمامه ، فالناس يختلفون حول الحق والباطل ، والهدى والضلال، والخير والشر ، وقد لا يفصل بينهم فيما يختلفون فيه هذه الأرض لإن إرادة الله شاءت أن يمتد ببعضهم الأجل ، وألا يحل بهم عذابه في هذه الدار حتى يتم الجزاء في الآخرة ، ويبلغ كل أمر تمامه هناك " [٣].

هذا من جانب ، ومن جانب آخر فان الحياة الإنسانية التي نشأت من الأرض لا تنتهي في الأرض، لأن عنصرًا غير أرضي قد امتزج بها ، وتدخل في خط سيرها، ولأن تلك النفخة العلوية قد جعلت لها غاية غير غاية الجسد الحيواني، ونهاية غير نهاية اللحم والدم القريبة، وجعلت كمالها الحقيقي لا يتم في هذه الأرض ، ولا في هذه الحياة الدنيا ،إنما يتم هنالك في مرحلة جديدة وفي الحياة الآخرى...

فالذين ينكرون البعث لا يدركوا حكمة الحياة الكبرى، ودقة التدبير في أطوارها للوصول بها إلى غايتها البعيدة ، هذه الغاية التي لا تتحقق بكمالها في هذه الأرض، فالخير لا يلقى جزاءه الكامل في الحياة الدنيا ، والشر كذلك ، إنما يستكملان هذا الجزاء هنالك ، حيث يصل المؤمنون الصالحون إلى قمة الحياة المثلى ، التي لا خوف فيها ولا نصب ، ولا تحول فيها ولا تعب ، ويصل المرتكسون المنتكسون إلى درك

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٦٠ .

(٢) في ظلال القرآن ١/ ٣٠٢ .

(٣) المصدر السابق ٤/ ٢١٧١-٢١٧٢ بتصرف يسير .

الحياة السفلية ويرتدون فيها أحجارًا أو كالأحجار! "[١].

" فالبعث في الآخرة ضرورة للنشأة الإنسانية لتستكمل حسابها ، وتنتهي إلى ما تؤهلها له سيرتها الأولى في الحياة الدنيا ، فلا مجال للظن بأنه لن يبعث أحدًا من الناس، فهذا الظن مخالف للاعتقاد في حكمة الله وكماله سبحانه وتعالى "[٢].

" ولقد كانت الحياة في نظر المنكرين حركة لا علة لها ولا هدف ولا غاية، أرحام تدفع وقبور تبلع وبين هاتين لهو ولعب ، وزينة وتفاخر ، ومتاع قريب من متاع الحيوان ، فأما أن يكون هناك ناموس وراءه هدف ، ووراء الهدف حكمة ، ووجود لإنسان إلى الدنيا وفق قدر يجري إلى غاية وينتهي إلى حساب ، فلم يكن في تصورهم ومداركهم "[٣].

ولهذا كان الرد الإلهي على من ينكر البعث ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾[٤]، بهذا التعقيب ينهي القرآن الكريم الجدل مع المشركين حول إنكارهم البعث، فحكمة البعث من حكمة الخلق ، محسوب حسابها ، ومقدر وقوعها ، ومدبر غايتها، وما البعث إلا حلقة في سلسلة النشأة ، تبلغ بها كمالها ويتم فيها تمامها ، ولا يغفل عن ذلك إلا المحجوبون المطموسون ، الذين لا يتدبرون حكمة الله الكبرى، وهي متجلية في صفحات الكون والوجود "[٥].

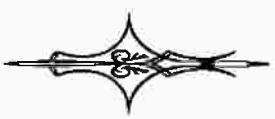

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٤٦٠، ٢٤٦٧ بتصرف .
(٢) المصدر السابق ٦/ ٣٧٢٩ .
(٣) المصدر السابق ٦/ ٣٧٧٣-٣٧٧٤ بتصرف .
(٤) سورة المؤمنون : الآية ١١٥-١١٦ .
(٥) في ظلال القرآن ٤/ ٢٤٨٢ .

المطلب الثالث

الحشر والقيامة

الحشر في اللغة بمعنى: الحشد أي الجمع، ومنه قوله تعالى:﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾[1]، ويغلب استعمال الحشر للجمع مع السوق [2].

أما في الاصطلاح الشرعي: فالحشر يعني: جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم [3].

وحشر الناس والخلائق وجمعهم ليوم الفصل يكون بعد البعث ، وقد سبق معنا أن سيد قطب -رحمه الله- يرى أن يوم القيامة يبدأ بنفخة الصعق والفزع ، التي تقضي على كل حي - إلا من شاء الله - ثم تأتي نفخة البعث والنشور والخروج من القبور ، ثم تأتي نفخة الحشر والتجميع والسوق للحساب والجزاء ، ويصاحب ذلك أحداثًا وأهوالًا عظامًا .

وقد قرر القرآن الكريم تلك الإحداث والأهوال في كثير من الآيات ، وكلها تشير إلى اختلال كامل في النظام الذي يربط أجزاء هذا الكون المنظور وأفلاكه ونجومه ، وانقلاب في أوضاعه وأشكاله وارتباطاته ، تكون بها نهاية هذا العالم ، وهو انقلاب لا يقتصر على الأرض ، إنما يشمل النجوم والكواكب والأفلاك، وقد جاء استعراض مظاهر من هذا الانقلاب في سور متعددة مثل :

* قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ

(١) سورة طه : الآية ٥٩ .
(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٦٦ .
(٣) شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص ١١٥ .

أَحْضَرَتْ ﴾[١].

* وقوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾[٢].

* وقوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾[٣].

* وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾[٤].

* وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝١٦ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾[٥].

* وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾[٦].

*وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾[٧].

* وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾[٨].

* وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾[٩].

*وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ

---

(١) سورة التكوير : الآية ١-١٤ .
(٢) سورة الانفطار : الآية ١- ٥ .
(٣) سورة الانشقاق : الآيات ١-٥ .
(٤) سورة الرحمن : الآية ٣٧ .
(٥) سورة الحاقة : الآية ١٣-١٧ .
(٦) سورة المعارج : الآية ٨-٩ .
(٧) سورة القارعة : ٤- ٥ .
(٨) سورة القيامة : الآية ٧-٩ .
(٩) سورة طه : الآية ١٠٥-١٠٧ .

ٱلْقَهَّارِ ﴾[١]

* وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[٢].

* وقوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾[٣].

وغيرها من الآيات التي تصور أهوال القيامة وأحداثها الكونية ، وتنبئ بأن نهاية عالمنا هذا ستكون نهاية مروعة ، ترج فيها الأرض وتدك ، وتنسف فيها الجبال وتتفجر فيها البحار.. وتطمس فيها النجوم وتتكور، وتشقق السماء وتنفطر، وتتحطم الكواكب وتنتثر، وتختل فيها المسافات فيجمع الشمس والقمر، وتبدو السماء مرة كالدخان ومرة ملتهبة حمراء.. إلى آخر هذا الهول الكوني الرهيب .

وقد استعرض سيد - رحمه الله - مظاهر هذا اليوم في كتابه " مشاهد القيامة في القرآن الكريم " وأيضًا في ظلال الآيات التي تتحدث عن أهوال وأحداث يوم القيامة في القرآن الكريم موضحًا إيحاءات تلك الآيات والأحداث وظلالها التي تطبعها على الحس وهو يطالعها ويتخيلها .[٤]

وفي ظل هذه الأحداث والمشاهد العنيفة والمروعة ، يبعث الناس من القبور ويحشرهم إلى أرض المحشر مع بقية الخلائق ليكون الحساب والجزاء " وتنصت الجموع المحشودة ، وتخفت كل حركة وكل نأمة ، ويستمعون الداعي إلى الموقف فيتبعون توجيهه كالقطيع صامتين مستسلمين ، لا يتلفتون ولا يتخلفون..ويخيم الصمت الرهيب والسكون الغامر: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾[٥]، ويخيم الجلال على الموقف كله ، وتغمر الساحة التي لا يحدها البصر رهبة وصمت وخشوع ، فالكلام همس ، والسؤال

(١) سورة إبراهيم : الآية ٤٨ .
(٢) سورة الأنبياء : الآية ١٠٤ .
(٣) سورة الفرقان : الآية ٢٥ .
(٤) ينظر في ذلك : مشاهد القيامة في القرآن كاملًا ،وفي ظلال القرآن ٤/ ٢١١٣ ، ٢٣٥٢، ٢٣٩٩ ، ٦/ ٣٤٢٩، ٣٤٥٦، ٣٦٧٩، ٣٦٧٩، ٣٧٥٥، ٣٧٩٢، ٣٨٠٠، ٣٨١٢، ٣٨٣٦، ٣٨٤٥، ٣٨٦٤، ٣٩٥٤، ٣٩٥٧، ٣٩٦٠
(٥) سورة طه : الآية١٠٨ .

تخافت ، والخشوع ضاف ، والوجوه عانية ، وجلال الحي القيوم يغمر النفوس بالجلال الرزين ، ولا شفاعة إلا لمن ارتضى الله قوله ، والعلم كله لله ، وهم لا يحيطون به علمًا ، والظالمون يحملون ظلمهم فيلقون الخيبة ، والذين آمنوا مطمئنون لا يخشون ظلمًا في الحساب ولا هضمًا لما عملوا من صالحات " [٦].

" ونقف أمام المشهد المرهوب يوم القيامة ، نتملى ما وراءه من الهول المذهل الذي ينطبع في النفوس ويصبح هم كل واحدٍ نفسه ، فقد قطع الهول المروّع جميع الوشائج وحبس النفوس على همومها " [٧].

* " أما أحوال الناس يوم الحشر فأنهم ينقسمون إلى أصناف ثلاثة " [٨] كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [٩].

- فالصنف الأول : الكفار وحالهم كما ذكره الله في كثير من الآيات القرآنية أنهم يحشرون في ذلة سود الوجوه كأنما أغشيت وجوههم قطعًا من الليل مظلمًا زرقاً مبلسون ، نادمون ، خاشعة أبصارهم مهطعين مقنعي الرؤوس لا يرتد إليهم طرفهم و أفئدتهم هواء ، عميًا وبكمًا وصمًا ، يتلاومون فيما بينهم ، ينادى على رؤوسهم: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [١٠].

وقد وقف سيد - رحمه الله - في ظلال الآيات التي تتحدث عن حال الكفار يوم القيامة وقفات عديدة بين فيها ما تدل عليه الآيات من أحوال وصفات في ذلك الموقف الرهيب.[١١]

---

(٦) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٥٢ .

(٧) المصدر السابق ٥/ ٦٣٩٧ بتصرف .

(٨) المصدر السابق ٦/ ٣٤٩٣ .

(٩) سورة الواقعة : الآية ٧-١١ .

(١٠) ينظر الآيات : يونس ٢٧ ، الروم ١٢ ، المعارج ٤٤ ، السجدة ١٤ ، إبراهيم ٤٣ ، عبس ٤٠-٤١ ، طه ١٠٢ ، هود ١٨

(١١) ينظر كلامه : في ظلال القرآن ٣/ ١٧٧٦ ، ٤/ ٢١١١-٢١١٣ ، ٢٣٥٢ ، ٥/ ٢٧٦١، ٢٨١١ ، ٦/ ٣٦٩٧، ٣٨٣٤ .

الصنف الثاني: عصاة الموحدين :

وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم حال عصاة الموحدين الذين ماتوا على الذنوب والكبائر من غير توبة ، وأنهم يحشرون يوم القيامة ويطالهم عذاب ذلك اليوم وشدته، وخاصة أصحاب بعض الذنوب كمنع الزكاة ، وكنز العلم ، والغلول، ونحوها مما جاءت النصوص بعذاب أصحابها يوم القيامة ، حتى يروا سبيلهم أما إلى الجنة أو إلى النار .

الصنف الثالث: الصالحون الأتقياء

وهؤلاء كما أخبر ربنا -جل وعلا- عنهم في آيات كثيرة أنهم يحشرون، بيض الوجوه،لا يحزنهم الفزع الأكبر، كما في قول تعالى: ﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى:﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾[3]، فهي مستنيرة متهللة مستبشرة، راجية في ربها، مطمئنة بما تستشعره من رضاه عنها، أو هي قد عرفت مصيرها، وتبين لها مكانها، فتهللت واستبشرت[4].

(١) سورة الزمر : الآية ٦١ .
(٢) سورة الأنبياء : الآية ١٠٣ .
(٣) سورة عبس : الآية ٣٨-٣٩ .
(٤) في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٥٩، ٦/ ٣٨٣٤ بتصرف .

المطلب الرابع

الشـفـاعـة

الشفاعة : هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة [١]، والشفاعة في الآخرة على قسمين :

١- **شفاعة عامة :** يشفع فيها الملائكة والأنبياء والمؤمنون، للموحدين أصحاب المعاصي في أن لا يدخلون النار أو في إخراج من دخلها .

٢- **شفاعة خاصة :** وهي شفاعة النبي ﷺ في أهل الموقف عند الله ليقضي بينهم ويبدأ الحساب ، وكذا شفاعته في دخول أهل الجنة الجنة [٢].

والشفاعة يوم القيامة تبدأ بالشفاعة العظمى ، وتكون بعد الحشر ، وذلك لأن الله تعالى يحشر الخلق إلى أرض المحشر حفاة عراة غرلا ، وتدنوا الشمس من رؤوسهم بمقدار ميل ، ويغرقهم العرق ، ويصبح الناس في عذاب وهم لا يطاق ، فعند ذلك يفزعون إلى الأنبياء والمرسلين حتى يشفعون عند الله ليبدأ الحساب ، أما الشفاعات الأخرى فهي متأخرة فبعضها بعد الحساب ، وبعضها بعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار [٣].

أما موقف سيد – رحمه الله – من الشفاعة ، فقد تلكم كلامًا عامًا في ظلال الآيات القرآنية التي تتحدث عن الشفاعة ، مبينًا انحراف تصور المشركين للشفاعة، وكذا الشفاعة المثبتة وشروطها ، ولم يتعرض لأنواع الشفاعات ، لأن حدثيه كان حول الآيات القرآنية التي ذكرت فيها الشفاعة، بيان ذلك فيما يأتي :

أولًا : الشفاعة المنفية :

وردت آيات عديدة في القرآن الكريم فيها نفي للشفاعة ومن خلال استقراء

(١) شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص ١٢٨ .
(٢) المصدر السابق ص ١٢٩ .
(٣) اليوم الآخر في القرآن الكريم د.عبد المحسن المطيري ص ٢٨٣ .

تلك الآيات نجد أنها تقرر تفرد الله سبحانه وتعالى بالحكم والقضاء ، وترد على ضلالات المشركين في اتخاذ الشركاء ليشفعوا لهم بزعمهم ، وتصحح أوهامهم حول الشفاعة في الآخرة ومن ذلك :

١ - نفي استحقاق الشفاعة بدون إيمان وعمل صالح ؛ ومن الآيات في ذلك :

أ- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1] حيث تدعو الآية إلى الفرصة التي إن أفلتت منهم فلن تعود.. فهي فرصة لو فوّتوها على أنفسهم ، فليس بعدها بيع تربح فيه ولا صداقة أو شفاعة ترد عنهم عاقبة النكول والتقصير[2].

ب- قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[3]، حيث تقرر أنه لا شفاعة تنفع يومئذ من لم يقدم إيمانًا وعملًا صالحًا ، ولا فدية تؤخذ منه للتجاوز عن كفره ومعصيته [4].

٢ - نفي حصول الشفاعة ونفعها للكافرين بسبب كفرهم :

حيث صرحت الآيات بأن الشفاعة لا تنفع المشركين بسبب كفرهم وشركهم بالله ومن ذلك :

أ- قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[6]، " فقد قضي الأمر، وحق القول، وتقرر المصير، الذي يليق بالمجرمين المعترفين! وليس هناك من شفيع للمجرمين أصلًا ، وحتى على فرض ما لا وجود له فما تنفعهم شفاعة الشافعين" [7].

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٤ .
(٢) في ظلال القرآن ٢٨٥ بتصرف يسير .
(٣) سورة البقرة : الآية ٤٨ .
(٤) في ظلال القرآن ١/ ٧٠ .
(٥) سورة غافر : الآية ١٨ .
(٦) سورة المدثر : الآية ٤٢-٤٨ .
(٧) في ظلال القرآن ٦/ ٢٧٦٢ ، وينظر : ٢/ ١١٢٩ ، ٥/ ٢٦٠٥ ، ٢٧٦١ ، ٣٠٧٤ ، ٦/ ٣٧٦٢ .

٣- نفي الشفاعة التي يثبتها المشركون ومن شابههم من أهل البدع :

يظن المنحرفون في باب الشفاعة أن بعض الخلق لهم من القدر عند الله ما يجعلهم يشفعوا عنده بغير إذنه ، كما يشفع الناس بعضهم عند بعض ، فيقبل المشفوع إليه شفاعة الشافع لحاجته إليه رغبة أو رهبة ، وكما يعامل المخلوق المخلوق بالمعاوضة، فالمشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من الملائكة والأنبياء والصالحين ، ويصورون تماثيلهم ويستشفعون بها ، ويقولون : هؤلاء خواص الله ، فنحن نتوسل إلى الله بدعائهم وعبادتهم ليشفعوا لنا ، كما يتوسل إلى الملوك بخواصهم [١] .

وقد جاءت آيات كثيرة ترد على أوهام المشركين حول الشفاعة ، ومن ذلك :

* قوله تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[٢]، يقول سيد - رحمه الله -: " وهو سؤال للتهكم والسخرية من زعمهم أنهم يعبدون تماثيل الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى! يعقبه تقرير جازم بأن لله الشفاعة جميعًا ، فهو الذي يأذن بها لمن يشاء على يد من شاء ، فهل مما يؤهلهم للشفاعة أن يتخذوا من دون الله شركاء؟! " [٣].

" يعالج الأسطورة المعقدة التي كان المشركون يواجهون بها دعوة التوحيد بقوله: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[٤].

" فلقد كانوا يعلنون أن الله خالقهم وخالق السماوات والأرض.. ولكنهم لم يكونوا يسيرون مع منطق الفطرة في إفراد الخالق إذن بالعبادة، وفي إخلاص الدين لله بلا شريك. إنما كانوا يبتدعون أسطورة بنوة الملائكة لله سبحانه ، ثم يصوغون

---

(١) اليوم الآخر في القرآن الكريم د.عبد المحسن المطيري ص ٢٩٤

(٢) سورة الزمر : الآية ٤٣-٤٤ .

(٣) في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٥٥ .

(٤) سورة الزمر : الآية ٣ .

للملائكة تماثيل يعبدونها فيها ، ثم يزعمون أن عبادتهم لتماثيل الملائكة وهي التي دعوها آلهة أمثال اللات والعزى ومناة ليست عبادة لها في ذاتها، إنما هي زلفى وقربى لله ، كي تشفع لهم عنده ، وتقربهم منه! .

وهو انحراف عن بساطة الفطرة واستقامتها، إلى هذا التعقيد والتخريف ، فلا الملائكة بنات الله ، ولا الأصنام تماثيل للملائكة ، ولا الله سبحانه يرضى بهذا الانحراف ، ولا هو يقبل فيهم شفاعة ، ولا هو يقربهم إليه عن هذا الطريق! وإن البشرية لتنحرف عن منطق الفطرة كلما انحرفت عن التوحيد الخالص البسيط الذي جاء به الإسلام وجاءت به العقيدة الإلهية الواحدة مع كل رسول ، وإنا لنرى اليوم في كل مكان عبادة للقديسين والأولياء تشبه عبادة العرب الأولين للملائكة أو تماثيل الملائكة تقربًا إلى الله بزعمهم وطلبًا لشفاعتهم عنده ، وهو سبحانه يحدد الطريق إليه ، طريق التوحيد الخالص الذي لا يتلبس بوساطة أو شفاعة على هذا النحو الأسطوري العجيب! ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ فهم يكذبون على الله ، يكذبون عليه بنسبة بنوة الملائكة إليه، ويكذبون عليه بأن هذه العبادة تشفع لهم عنده ! وهم يكفرون بهذه العبادة ، ويخالفون فيها عن أمر الله الواضح الصريح " [1].

" وقد كان المشركون يعتقدون أن هناك كائنات من خلق الله ، لها مشاركة – عن طريق الشفاعة الملزمة عند الله – في تسيير الأحداث والأقدار ، كالملائكة" [2]. فنفى ذلك وقرر أنه " يومذاك لا أحد ممن يدعونهم أولادًا أو شركاء يملك أن يشفع لأحد منهم كما كانوا يزعمون أنهم يتخذونهم شفعاء عند الله، فإنه لا شفاعة إلا لمن شهد بالحق وآمن به، ومن يشهد بالحق لا يشفع في من جحده وعاداه!" [3].

٤- نفي الشفاعة التي لا تتوافر فيها الشروط :

حيث نفى الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم كل شفاعة لا تتوافر فيها الشروط المعتبرة في الشفاعة المقبولة والمثبتة ، والتي تتمثل في إذن الله سبحانه وتعالى للشافع،

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٣٧ .
(٢) المصدر السابق ٢/ ١٠٦٣ .
(٣) المصدر السابق ٥/ ٣٢٠٤ ، وينظر أيضًا : ٣/ ١١٤٩ ، ٥/ ٢٩٦٤ ، ٦/ ٣٤٠٩ .

ورضاه عن الشافع وعن المشفوع فيه أيضًا وفي حدود معينة وهو ما يأتي بيانه في الفقرة الآتية:

ثانيًا : الشفاعة المثبتة وشروطها :

اثبت الله سبحانه وتعالى الشفاعة في الآخرة ، لكنها شفاعة ليست من جنس شفاعة الدنيا ـ فالله سبحانه وتعالى- هو المتفرد وحده بالحكم والقضاء والملك "فالعبيد جميعًا يقفون في حضرة الألوهية موقف العبودية ، لا يتعدونه ولا يتجاوزونه، يقفون في مقام العبد الخاشع الخاضع ، الذي لا يقدم بين يدي ربه ، ولا يجرؤ على الشفاعة عنده ، إلا بعد أن يؤذن له ، فيخضع للإذن ويشفع في حدوده "[١].

شروط الشفاعة عند الله وهي :

١- إذن الله بالشفاعة : قال سبحانه: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[٢]، وقال أيضًا: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾[٣]، وقال أيضًا: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[٤].

فالآيات تقرر أنه ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[٥] و" أنه لا يجرؤ أحد على الشفاعة إلا بعد أن يؤذن له ، فيخضع للإذن ويشفع في حدوده"[٦]. "فالشفاعة مرهونة بإذن الله..وفقًا لتدبيره وتقريره، فلا الملائكة ، ولا غيرها يملك الشفاعة إلا حين يأذن الله في شيء منها "[٧].

٢- رضى الله عن الشافع : قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ

---

(١) في ظلال القرآن ١/ ٢٨٨ .
(٢) سورة البقرة : الآية ٢٥٥ .
(٣) سورة يونس : الآية ٣ .
(٤) سورة النجم : الآية ٢٦ .
(٥) في ظلال القرآن ٢/ ١٠٩٩
(٦) المصدر السابق ١/ ٢٨٨ .
(٧) المصدر السابق ٣/ ١٧٦٣ ، ٥/ ٢٩٠٤ ، ٦/ ٣٤٠٩ بتصرف .

لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾[١]، " فلا شفاعة إلا لمن ارتضى الله قوله "[٢].

٣- رضى الله عن المشفوع فيه :

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[٣]، " فلا شفاعة إلا بعد الإذن ، ولمن ارتضاه الله ، ورضي أن تقبل الشفاعة فيه "[٤].

ثالثًا : شفاعة النبي ﷺ :

لم يتعرض سيد - رحمه الله - لأنواع الشفاعات الخاصة بالنبي ﷺ عدا الشفاعة العظمى حيث ذكر في ظلال قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[٥]. " أن الله تعالى يأمر نبيه ﷺ بالصلاة والتهجد والقرآن ليبعثه ربه المقام المحمود المأذون له به ، وهو مقام الشفاعة يوم القيامة كما في بعض الروايات "[٦].

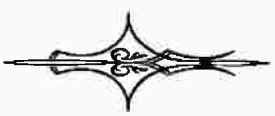

(١) سورة طه : الآية ١٠٩ .
(٢) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٥٣ .
(٣) سورة الأنبياء : الآية ٢٨ .
(٤) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٧٥ ، وينظر : ٢/ ١٠٩٩ .
(٥) سورة الإسراء : الآية ٧٩ .
(٦) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٤٧ مع الهامش .

المطلب الخامس

العرض والحساب

اهتم القرآن الكريم كثيرًا بقضية الحساب في الآخرة وخاصة في السور المكية ، وبيّن أنه بعد الحشر الجامع يكون العرض الشامل والحساب ، وأن الناس في ساحة العرض الهائلة يجثون على الركب متميزين أمةً أمة في ارتقاب الحساب المرهوب [١].

وحال الناس كما قال سبحانه: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾[٢]، يقول سيد قطب : " فالكل مكشوف..الجسد .. والنفس .. والضمير .. والعمل .. والمصير ، تسقط جميع الأستار التي كانت تحجب الأسرار، وتتعرى النفوس تعري الأجساد ، وتبرز الغيوب بروز الشهود ، ويتجرد الإنسان من حيطته ومن مكره ومن تدبيره ومن شعوره ، ويفتضح منه ما كان حريصًا على أن يستره حتى عن نفسه ! وتكون الفضيحة القاسية على الملأ، أمام تلك الحشود الهائلة من خلق الله، من الإنس والجن والملائكة ، وتحت جلال الله وعرشه المرفوع فوق الجميع " [٣]، ويبدأ الحساب بإيتاء الكتب وينتهي بالميزان وبيان ذلك فيما يأتي :

أولًا : إيتاء الكتب :

يبدأ الحساب يوم القيامة بإيتاء الكتب ، فقد ذكر الله في القرآن الكريم الحساب بعد إيتاء الكتب ، قال سبحانه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾[٤]، فذكر إيتاء الكتب أولًا ثم التعقيب بحرف الفاء – الذي يقتضي الترتيب والتعقيب ، ثم ذكر الحساب .

ومن تمام عدل الله تعالى أن وكل مع كل إنسان ملائكة يكتبون عليه كل شيء كما

---

(١) ينظر في ذلك : في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٤٧ ، ٢٣١٧ ، ٥/ ٣٢٣٣ ، ٦/ ٣٦٨١،٣٦٩٧، ٣٨٠١

(٢) سورة الحاقة : الآية ١٨ .

(٣)في ظلال القرآن ٦/ ٣٦٨٠ بتصرف .

(٤) سورة الانشقاق : الآية ٧-٨ .

في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ (١)، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢)، فإذا كان يوم القيامة نشرت الصحف كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾(٣) وتطايرت فيأخذ كل واحد كتابه ليقرأه كما قال سبحانه: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝١٣ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾(٤).

وهذا الكتاب في غاية الدقة، فلا يترك صغيرًا ولا كبيرًا إلا أحصاه، قال سبحانه: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾(٥) وقوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾(٦).

فالمؤمن يأخذ كتابه بيمينه، وأما الكافر فيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره، قال سبحانه ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاق�ٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝٢٤ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾(٧) وقال أيضًا ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾(٨).

---

(١) سورة يس: الآية ١٢.
(٢) سورة الانفطار: الآية ١٠-١٢.
(٣) سورة التكوير: الآية ١٠.
(٤) سورة الإسراء: الآية ١٣-١٤.
(٥) سورة الكهف: الآية ٤٩.
(٦) سورة القمر: الآية ٥٢-٥٣.
(٧) سورة الحاقة: الآية ١٩-٢٩.
(٨) سورة الانشقاق: الآية ٧-١٢.

يقول سيد - رحمه الله -: " وأخذ الكتاب باليمين وبالشمال ومن وراء الظهر قد يكون حقيقة مادية، وقد يكون تمثيلًا لغويًا جاريًا على اصطلاحات اللغة العربية من تعبيرهم عن وجهة الخير باليمين ووجهة الشر بالشمال أو من وراء الظهر، وسواء كان هذا أو ذاك فالمدلول واحد، وهو لا يستدعي جدلًا يضيع فيه جلال الموقف! "[١]، " والذي ألفناه في تعبيرات القرآن من قبل هو كتاب اليمين وكتاب الشمال، أما الصورة التالية وهي إعطاء الكتاب من وراء الظهر، فليس يمتنع أن يكون الذي يعطى كتابه بشماله يعطاه كذلك من وراء ظهره، فهي هيئة الكاره المكره الخزيان من المواجهة، وكذلك لا ندري حقيقة الكتاب وكيفية إيتائه باليمين أو بالشمال ومن وراء الظهر، إنما تخلص لنا حقيقة النجاة من وراء التعبير الأول، وحقيقة الهلاك من وراء التعبير الثاني، وهما الحقيقتان المقصود أن نستيقنهما.. والله أعلم بحقيقة ما يكون كيف يكون! "[٢].

وبعد أن يأخذ الناس كتبهم يقرأونها ويعرفون ما فيها ويبدأ الحساب والسؤال والتقرير، فأما المؤمن الذي يؤتى كتابه بيمينه فهو المرضي السعيد، وهو يحاسب حسابًا يسيرًا، فلا يناقش ولا يدقق معه في الحساب، والذي يصور ذلك هو الآثار الواردة عن الرسول ﷺ وفيها غناء "[٣].

" فينطلق في فرحة غامرة، بين الجموع الحاشدة، تملأ الفرحة جوانحه، وتغلبه على لسانه، فيهتف ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴾، ثم يذكر في بهجة أنه لم يكن يصدق أنه ناج، بل كان يتوقع أن يناقش الحساب " ومن نوقش الحساب عذب " كما جاء في الأثر: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: " **من نوقش الحساب عذب**" فقلت: أليس يقول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ ﴾ فقال: " **إنما ذلك العرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك** "[٤].

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٦٨١.

(٢) المصدر السابق ٦/ ٣٨٦٧.

(٣) المصدر السابق ٦/ ٣٨٦٧.

(٤) رواه: البخاري في الرقاق باب من نوقش الحساب عذب ٥/ ٢٣٩٤ برقم ٦١٧١، ٦١٧٢.

وفي الصحيح قال رسول الله ﷺ : " **يدني الله العبد يوم القيامة ، فيقرره بذنوبه كلها ، حتى إذا رأى أنه قد هلك ، قال الله تعالى : إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه ، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين** " [١]، [٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته : " اللهم حاسبني حسابًا يسيرًا "، فلما انصرف قلت : يا رسول الله ، ما الحساب اليسير؟ قال: " **أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه ، من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك** " [٣].

فهذا هو حال المؤمن حساب ثم ينجو وينقلب إلى أهله في الجنة مسرورًا " [٤].

وأما التعيس الذي قضى حياته في الأرض كدحًا في المعصية والإثم والضلال، فيأخذ كتابه بشماله ومن وراء ظهره ، ويعرف نهايته ومصيره ، فيدرك أنه العناء الطويل بلا توقف فيدعو ثبورًا ، وينادي الهلاك لينقذه مما هو مقدم عليه من الشقاء، وحين يدعو الإنسان بالهلاك لينجو به ، يكون في الموقف الذي ليس بعده ما يتقيه ، حتى ليصبح الهلاك أقصى أمانيه ، وهذا هو المعنى الذي أراده الشاعر وهو يقول : كفى بك داءً أن ترى الموت شافيًا ... وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا [٥].

فهي التعاسة والشقاء الذي ليس بعدهما تعاسة ولا شقاء! " [٦].

ثانيًا: الاستجواب والشهادة :

بعد أخذ الكتب يكون الاستجواب والشهادة ، ومن عدل الله تعالى أن يقيم الحجة على الجميع قبل المؤاخذة ، ولهذا ضرب موعدًا للفصل بين الخلق يوم

---

(١) رواه : البخاري في المظالم ٣/ ٨٦٢ برقم ٢٣٠٩ ، ومسلم في التوبة باب قبول توبة القاتل ٤/ ١٦٨٥ برقم ٢٧٦٨ .

(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٦٨١ بتصرف يسير .

(٣)رواه : أحمد ٦/ ٤٨ ، وصححه دون قوله " اللهم حاسبني حسابًا يسيرا " فهي زيادة منكرة ، وقصة الحديث في الصحيحين ، انظر:مسند أحمد لمحقق الأرناؤوط ٤٠/ ٢٦٠ .

(٤) في ظلال القرآن ٦/ ٣٨٦٧ .

(٥) البيت للمتنبي ، انظر: ديوان المتنبي ، دار صادر بيروت ط٢١ عام ١٩٨٥م ص ٢٨٤ .

(٦)في ظلال القرآن ٦/ ٣٨٦٧-٣٨٦٨ بتصرف يسير ، وينظر أيضًا ٦/ ٣٦٨٢ .

القيامة، وهو الموعد الذي تنتهي إليه الرسل بحسابها مع البشر ، يقول سيد – رحمه الله – : " فهو موعد الرسل لعرض حصيلة الدعوة ، فالرسل قد أقتت لهذا اليوم وضرب لها الموعد هناك لتقديم الحساب الختامي عن ذلك الأمر العظيم .. للفصل في جميع القضايا المعلقة في الحياة الأرضية، والقضاء بحكم الله فيها، وإعلان الكلمة الأخيرة التي تنتهي إليها الأجيال والقرون "[1].

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[2] " حيث يجمع الله الرسل الذين فرقهم في الزمان فتتابعوا على مداره ، وفرقهم في المكان فذهب كل إلى قريته ، وفرقهم في الأجناس فمضى كل إلى قومه.. يدعون كلهم بدعوة واحدة على اختلاف الزمان والمكان والأقوام ، حتى جاء خاتمهم ﷺ بالدعوة الواحدة لكل زمان ومكان وللناس كافة من جميع الأجناس والألوان .

هؤلاء الرسل إلى شتى الأقوام ، في شتى الأمكنة والأزمان ها هو ذا مرسلهم فرادى ، يجمعهم جميعًا، ويجمع فيهم شتى الاستجابات، وشتى الاتجاهات، وها هم أولاء.. نقباء البشرية في حياتها الدنيا، ومعهم رسالات الله إلى البشرية في شتى أرجائها ، ووراءهم استجابات البشرية في شتى أعصارها ، هؤلاء هم أمام الله رب البشرية – سبحانه – في مشهد يوم عظيم .. تجمع فيه الحصيلة ، ويضم الشتات، ويقدم الرسل حساب الرسالات ، وتعلن النتائج على رؤوس الأشهاد ﴿ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴾ والرسل بشر من البشر، لهم علم ما حضر، وليس لديهم علم ما استتر لقد دعوا أقوامهم إلى الهدى، فاستجاب منهم من استجاب ، وتولى منهم من تولى وما يعلم الرسول حقيقة من استجاب إن كان يعرف حقيقة من تولى ، فإنما له ظاهر الأمر وعلم ما بطن لله وحده وهم في حضرة الله الذي يعرفونه خير من يعرف، والذي يهابونه أشد من يهاب ، والذي يستحيون أن يدلوا بحضرته بشيء من العلم وهم يعلمون أنه العليم الخبير .

إنه الاستجواب المرهوب في يوم الحشر العظيم ، على مشهد من الملأ الأعلى،

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٩٢ .
(٢) سورة المائدة : الآية ١٠٩ .

وعلى مشهد من الناس أجمعين ، الاستجواب الذي يراد به المواجهة.. مواجهة البشرية برسلها، ومواجهة المكذبين من هذه البشرية خاصة برسلهم الذين كانوا يكذبونهم، ليعلن في موقف الإعلان ، أن هؤلاء الرسل الكرام إنما جاءوهم من عند الله بدين الله، وها هم أولاء مسؤولون بين يديه - سبحانه - عن رسالاتهم وعن أقوامهم الذين كانوا من قبل يكذبون " [١] ، ويتوجه السؤال إلى المكذبين: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[٢]، ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ... ﴾[٣].

" وإن الله ليعلم ماذا أجابوا المرسلين ، ولكنه كذلك سؤال التأنيب والترذيل ، والخزي والفضيحة على رؤوس الإشهاد ومن ثم لا يجيب المسؤولون عن السؤال، فليس المقصود به هو الجواب " [٤].

وبعد المواجهة بين الرسل والأمم تكون الشهود ، والشهود يوم القيامة هم الله سبحانه وتعالى والملائكة والأنبياء ، والمؤمنون والأرض والأعضاء .

* أما الله تعالى فهو خير الشاهدين كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ ﴾[٥] .

*وإما شهادة الملائكة يوم القيامة فيقول سبحانه :﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾[٦] ، " كل نفس معها سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها ، قد يكونان هما الكاتبان الحافظان لها في الدنيا ، وقد يكونان غيرهما والأول أرجح ، وهو مشهد أشبه شيء بالسوق للمحاكمة ، ولكن بين يدي الجبار" [٧] .

---

(١) في ظلال القرآن ٢/ ٩٩٦-٩٩٧ .
(٢)سورة القصص : الآية ٦٥-٦٦ .
(٣) سورة القصص : الآية ٦٢، ٧٤ .
(٤) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٠٦ بتصرف .
(٥) سورة الأنعام : الآية ١٩ .
(٦) سورة ق : الآية ٢١ .
(٧) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٦٤ .

وأما شهادة الأنبياء فقد جاءت في آيات كثيرة منها :

- قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾[١] .

- وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾[٢] .

- وقوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ... ﴾[٣] .

- وقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[٤] .

- وقوله تعالى عن عيسى -عليه السلام-: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[٥].

فهذه الآيات وغيرها تقرر شهادة الأنبياء على أقوامهم بما أجابوه وما استقبلوا به رسالته ، وتوضح موقف الشهداء من الأنبياء وهم يدلون بما يعلمون مما وقع لهم في الدنيا مع أقوامهم من تبليغ وتكذيب وهو عام لكل الرسل ، فالشهيد على كل أمة هو نبيها الذي يشهد عليها[٦].

* أما شهادة المؤمنين فيقول سبحانه ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾[٧]. ويقول سبحانه: ﴿ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[٨] .

يقول سيد - رحمه الله - : " والأشهاد هم الملائكة والرسل والمؤمنون، أو هم

---

(١)سورة النحل : الآية ٨٤ .
(٢) سورة النحل : الآية ٨٩ .
(٣)سورة القصص : الآية ٧٥ .
(٤)سورة النساء : الآية ٤١ .
(٥)سورة النساء : الآية ١٥٩ .
(٦)ينظر في ذلك : في ظلال القرآن ١/ ١٣١ ، ٢/ ٦٦٢، ٨٠٣، ٤/ ٢١٨٧، ٢١٨٨، ٥/ ٢٧٠٩ .
(٧) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .
(٨)سورة هود :الآية ١٨ .

الناس أجمعون "[١].

* وأما شهادة الأعضاء، فيقول سبحانه: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٢].

- ويقول سبحانه ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[٣]. ويقول سبحانه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[٤].

فشهادة الأعضاء في سياق الآيات خاصة بأعداء الله من الكفار والمشركين الذين يناقشون الحساب وينكرون الكتاب ولا يقبلون الشهود إلا من أنفسهم، فتكون أعضائهم هي الشهود عليهم.

يقول سيد - رحمه الله -: " ويحشر أعداء الله كالقطيع! إلى النار حتى إذا كانوا حيالها وقام الحساب، إذا شهود عليهم لم يكونوا لهم في حساب، إن ألسنتهم معقودة لا تنطق، وقد كانت تكذب وتفتري وتستهزئ، وإن أسماعهم وأبصارهم وجلودهم تخرج عليهم، لتستجيب لربها طائعة مستسلمة، تروي عنهم ما حسبوه سرًا، فقد يستترون من الله ويظنون أنه لا يراهم وهم يتخفون بنواياهم، ويتخفون بجرائمهم، ولم يكونوا ليستخفوا من أبصارهم وأسماعهم وجلودهم، وكيف وهي معهم؟ بل كيف وهي أعضائهم ؟! وها هي ذي تفضح ما حسبوه مستورًا عن الخلق أجمعين، وعن الله رب العالمين... وتأخذهم المفاجئة ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾، فإذا هي تجبههم بالحقيقة التي خفيت عليهم في غير مواربة ولا مجاملة: ﴿ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾، وقد أنطق كل شيء فهو يتحدث

(١) في ظلال القرآن: ٣/ ١٨٦٧.
(٢) سورة النور: الآية ٢٤.
(٣) سورة يس: الآية ٦٥.
(٤) سورة فصلت: الآية ٢٠-٢٣.

وينطق ويبين" [١].

ثالثًا : قواعد الحساب يوم القيامة :

أشار القرآن الكريم إلى عدد من القواعد التي يتم وفقها حساب الله تعالى للعباد ، ومنها :

١ ـ العدل التام والدقة في الحساب :

حيث يقرر الله تعالى أن الحساب في الآخرة يقوم على مبدأ العدل التام ، فلا ظلم ولا بخس، قال سبحانه: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[٢] .

وقال سبحانه : ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٣]، وقال سبحانه : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[٤].

" فلا غبن ولا ضير ولا بخس في الحساب الختامي" ، "ولا مجال للمغالطة في الوزن، ولا التلبيس في الحكم ، ولا الجدل الذي يذهب بصحة الأحكام والموازين"، " فكل شيء مسجل لا يبدل ، ولا يجزى أحد إلا بما هو مسجل ولا يظلم أحد ، فالمجازي هو الحكم العدل "، " وما يبلغ تعبير مجرد عن دقة علم الله وشموله وقدرته ، وعن دقة الحساب وعدالة الميزان ما يبلغه قوله تعالى: ﴿ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[٥]،[٦].

٢ ـ فردية الحساب :

فكل شخص مسئول عن نفسه ، لا يتحمل أحد ذنب أحد ، ولا يحاسب أحد

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٣١١٨ بتصرف يسير ، وينظر أيضًا ٥/ ٢٩٧٣ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٤٧ .

(٣)سورة يس : الآية ٥٤ .

(٤)سورة النساء : الآية ٧٧ ، وقد ورد نفي الظلم في ذلك اليوم في القرآن الكريم في احد عشر موضعًا من القرآن الكريم ، ينظر : اليوم الآخر في القرآن والسُّنَّة ، د.عبد المحسن المطيري ص ٣٢٣-٣٢٤ .

(٥) سورة لقمان : الآية ١٦ .

(٦) في ظلال القرآن ٢/ ٧١٦ ، ٣/ ١٢٦١ ، ٤/ ٢٣١٩ ، ٥/ ٢٧٨٨ ، ٦/ ٣٣٦٥ .

عن أخطاء أحد فلا تزر وازرة وزر أخرى : يقول سبحانه : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[١] .

" فكل مجزيٌ بذنبه لا يحمله عنه غيره "[٢]، " فهي التبعة الفردية التي تربط كل إنسان بنفسه ، إن اهتدى فلها ، وإن ضل فعليها ، وما من نفس تحمل وزر أخرى، وما من أحد يخفف حمل أحد ، إنما يسأل كل عن عمله ، ويجزي كل بعمله ولا يسأل حميم حميما "[٣].

- وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾[٤]، " لمسة أخرى بحقيقة فردية التبعة ، والجزاء الفردي الذي لا يغني فيه أحد عن أحد شيئًا ، فما بالنبي ﷺ من حاجة إلى هدايتهم يحققها لنفسه ، فهو محاسب على عمله وحده ، كما أن كلًا منهم محاسب على ما كسبت يداه ، يحمل حمله وحده ، لا يعينه أحد عليه...

وحقيقة فردية التبعة والجزاء ذات أثر حاسم في الشعور الأخلاقي، وفي السلوك العملي سواء . فشعور كل فرد بأنه مجزيٌ بعمله ، لا يؤاخذ بكسب غيره ، ولا يتخلص هو من كسبه ، عامل قوي في يقظته لمحاسبة نفسه قبل أن تحاسب ! مع التخلي عن كل أمل خادع في أن ينفعه أحد بشيء ، أو أن يحمل عنه أحد شيئًا.. إن الله - سبحانه- لا يحاسب الناس جملة بالقائمة ! إنما يحاسبهم فردًا فردًا كل على عمله ، وفي حدود واجبه "[٥].

ويدخل في عمل الإنسان الذي يحاسب عليه إضلاله لغيره من الناس ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[٦]، " فهم يحملون وزر ضلالهم وشركهم وافترائهم ، ووزر إضلالهم

(١)سورة الأنعام : الآية ١٦٤ ، سورة الإسراء ١٥ ، سورة فاطر : الآية ١٨ .
(٢) في ظلال القرآن ٣/ ١٢٤١ .
(٣)المصدر السابق ٤/ ٢٢١٧ .
(٤) سورة فاطر : الآية ١٨ .
(٥) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٣٨ بتصرف يسير ، وينظر ٥/ ٢٧٢٤ ، ٦/ ٣٤١٤-٣٤١٥ .
(٦) سورة العنكبوت : الآية ١٣ .

للآخرين دون أن يعفي هؤلاء من تبعة الضلال "[١].

٣ـ إطلاع العباد على أعمالهم إعذارًا لهم ومحاسبتهم عليها:

من تمام عدل الله وحكمته أن يطلع الخلق على ما قدموه من أعمال من خلال إعطائهم كتبهم التي أحصت تلك الأعمال، قال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٣].

يقول سيد - رحمه الله -: " إن الحساب والجزاء والحكم في الآخرة، إنما يقوم على عمل الناس في الدنيا؛ ولا يحاسب الناس على ما اجترحوا في الدنيا إلا أن تكون هناك شريعة من الله تعين لهم ما يحل وما يحرم، مما يحاسبون يوم القيامة على أساسه، وتوحد الحاكمية في الدنيا والآخرة على هذا الأساس.

فأما حين يحكم الناس في الأرض بشريعة غير شريعة الله، فعلام يحاسبون في الآخرة؟.

أيحاسبون وفق شريعة الأرض البشرية التي كانوا يحكمون بها، ويتحاكمون إليها؟.

أم يحاسبون وفق شريعة الله السماوية التي لم يكونوا يحكمون بها، ولا يتحاكمون إليها؟.

إنه لا بد أن يستيقن الناس أن الله محاسبهم على أساس شريعته هو، لا شريعة العباد، وأنهم إن لم ينظموا حياتهم ويقيموا معاملاتهم - كما يقيمون شعائرهم وعباداتهم - وفق شريعة الله في الدنيا، فإن هذا سيكون أول ما يحاسبون عليه بين يدي الله، وأنهم يومئذ سيحاسبون على أنهم لم يتخذوا الله - سبحانه - إلهًا

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٢٤.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٠.
(٣) سورة الكهف: الآية ٤٩.

في الأرض، ولكنهم اتخذوا من دونه أربابًا متفرقة ، وأنهم محاسبون إذن على الكفر بألوهية الله – أو الشرك به بإتباعهم شريعته في جانب العبادات والشعائر ، وإتباعهم شريعة غيره في النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، وفي المعاملات والارتباطات – والله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " . (١)

٤ـ مضاعفة الحسنات دون السيئات، وتبديل السيئات حسنات للمؤمنين:

وهذا من كمال فضل الله تعالى وعدله قال سبحانه : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾(٢) وقال سبحانه ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾(٣).

وقال سبحانه: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٤)، "ففي هذه وأمثالها يقرر الله -سبحانه- قاعدة الحساب والجزاء في الآخرة ..

فقد اقتضى فضل الله أن تضاعف الحسنات ولا تضاعف السيئات ، رحمة من الله بعباده ، وتقديرًا لضعفهم وللجواذب والموانع لهم في طريق الخير والاستقامة ، فضاعف لهم الحسنات ، وجعلها كفارة للسيئات فإذا وصلوا إلى الجنة بعد الحساب رزقهم الله فيها بغير حساب " (٥).

" وهو فيض من عطاء الله لا مقابل له من عمل العبد إلا أنه اهتدى ورجع عن الضلال ، وثاب إلى حمى الله ، ولاذ به بعد الشرود والمتاهة.. وقد جاء في الحديث أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال : أرأيت رجلًا عمل الذنوب كلها ولم يترك حاجة ولا داجة ، فهل له من توبة ؟ فقال : " أسلمت؟ " فقال : نعم . قال : " فافعل الخيرات واترك السيئات ، فيجعلها الله لك خيرات كلها " قال : وغدراتي وفجراتي؟ قال :

---

(١) في ظلال القرآن ٢/ ١١٢٣ .
(٢) سورة الإنعام : الآية ١٦٠.
(٣) سورة غافر : الآية ٤٠ .
(٤) سورة الفرقان : الآية ٤٠.
(٥) في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٨٢، ٣٠٨٣ .

" نعم " . فما زال يكبر حتى توارى " .[١] ، [٢].

٥ـ إقامة الشهود على الناس . وقد سبق

٦ـ وزن الأعمال لإقامة الحجة،وهو ما يأتي تفضيله في الفقرة القادمة .

رابعًا : إقامة الموازين :

الموازين لغة : جمع ميزان ، والميزان المقدار ، وأصله موزان ، فقلبت الواو ياءً لكسر ما قبلها فأصبحت ميزان ، والميزان العدل [٣]. وقيل : ما تقدر به الأشياء خفة وثقلًا [٤].

وشرعًا : هو ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد خيرها وشرها إظهارًا للعدل الإلهي [٥].

وقد ورد ذكر الوزن والموازين في عدة آيات من القرآن الكريم ، وكذا في عدة أحاديث .

*وأهل السُّنَّة والجماعة على أنه ميزان حقيقي له لسان وكفتان ، يميل بالأعمال.

*وذهب بعض أهل السُّنَّة إلى أن الميزان بمعنى العدل والقضاء ، فقد روى عن مجاهد [٦] في قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [٧] قال : إنما هو مثل كما يجوز وزن الإعمال كذلك يجوز الحظ وفي رواية عنه : قال : الموازين العدل ، والراجح ما ذهب إليه الجمهور [٨] .

---

(١) سبق تخريجه ص ١٠٦٠ .

(٢) في ظلال القرآن ٥/ ٢٥٧٩-٢٥٨٠ بتصرف .

(٣) لسان العرب ١٣/ ٤٤٨ بتصرف .

(٤) شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص ١٢٠ .

(٥) السُّنَّة لابن أبي عاصم ٢/ ٣٦٣ ، فتح الباري ١٣/ ٥٤٨ ، شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٦٠٨ ، شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص ١٢٠ .

(٦) هو : مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المخزومي مولاهم ،المكي ،تابعي ،ثقة ، إمام في التفسير ،أخذ التفسير عن ابن عباس ، توفي سنة ١٠٤ هـ انظر :سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤٩ والأعلام ٥/ ٢٧٨ . .

(٧) سورة الأنبياء : الآية ٤٧.

(٨) فتح الباري ١٣/ ٥٣٨-٥٣٩ ،وينظر أيضًا :شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٦١٠،التذكرة للقرطبي ٢/ ١٢.

قال الحافظ ابن حجر: " وأنكرت المعتزلة الميزان ، وقالت هو عبارة عن العدل.. بناءً منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها ، إذ لا تقوم بأنفسها "(١).

أما سيد - رحمه الله - فالذي يظهر من خلال استقراء كلامه في التصور الفني وفي ظلال بعض الآيات التي تتحدث عن الموازين والوزن في ظلال القرآن أنه يرى: " أن عملية الوزن بالميزان تجري على طريقة القرآن الكريم في التعبير بالتصوير، وتجسيم المعاني في صورة حسية ومشاهد ذات حركة "(٢).

يقول : " وثقل الموازين وخفتها تفيدنا قيماً لها عند الله اعتبار ، وقيماً ليس لها عنده اعتبار ، وهذا ما يلقيه التعبير بجملته ، وهذا- والله أعلم -ما يريده الله بكلماته ، فالدخول في جدل عقلي ولفظي حول هذه التعبيرات هو جفاء للحس القرآني ، وعبث ينشئه الفراغ من الاهتمام الحقيقي بالقرآن والإسلام! .

فمن ثقلت موازينه في اعتبار الله وتقويمه فهو في عيشة راضية، ومن خفت موازينه في اعتبار الله وتقويمه فأمه هاوية "(٣).

ويقول : " فالوزن يومئذ الحق ، لا مجال للمغالطة في الوزن والتلبيس في الحكم، والجدل الذي يذهب بصحة الموازين "(٤).

فهو فيما سبق من النصوص يرى أن الموازين هي عدل الله ، وأن وزن أفعال العباد من أفعال الله وبالتالي فهو يقرر في موضع أخر بأن " لا ندخل في طبيعة الوزن وحقيقة الميزان - كما دخل فيه المتجادلون بعقلية غير إسلامية في تاريخ الفكر "الإسلامي"!..فكيفيات أفعال الله كلها خارجة عن الشبيه والمثيل، منذ كان الله سبحانه ليس كمثله شيء..وحسبنا تقرير الحقيقة التي يقصد إليها السياق، من أن الحساب يومئذ بالحق، وأنه لا يظلم أحد مثقال ذرة، وأن عملاً لا يبخس ولا يغفل ولا يضيع "(٥).

---

(١) فتح الباري، ١٣/ ٥٣٨ .
(٢) التصوير الفني ص ٧١ ، في ظلال القرآن ٤/ ٢٤٨١ .
(٣) في ظلال القرآن ٦/ ٣٩٦١ .
(٤)المصدر السابق ٣/ ١٢٦١ .
(٥) في ظلال القرآن ٣/ ١٢٦١ ، وينظر أيضًا : ٤/ ٢٢٩٥ .

وهو بهذا موافق لرأي المعتزلة وبعض السلف كمجاهد في أن الوزن والموازين مثل للعدل الإلهي – كما سبق – وهو خلاف ما عليه جمهور أهل السُّنَّة والجماعة من أنه ميزان حقيقي ، [١] .

ووجدت أيضًا كلامًا لسيد قطب – رحمه الله – ظاهره أنه يثبت الميزان وهو قوله: " والحبة من خردل تصور أصغر ما تراه العيون، وأخفه في الميزان وهي لا تترك يوم الحساب ولا تضيع ، والميزان يشيل بها أو يميل.. وهم – أي الكفار – وإن نجوا من عذاب الدنيا فهناك عذاب الآخرة تعد موازينه فلا تظلم نفس شيئًا ولا يهمل مثقال حبة من خردل " [٢].

ويقول : " وفضل الله يتجلى به على عباده المتقين ، يكفر عنهم أسوأ أعمالهم فلا يبقى لها حساب في ميزانهم ويجزيهم أجرهم بحساب الأحسن فيما كانوا يعملون، فتزيد حسناتهم وتعلو وترجح في الميزان " [٣]، " ويبلغ فضل الله سبحانه وتعالى وفيضه على عبده المؤمن ، أنه إذا قال : الحمد لله كتبها له حسنة ترجح كل الموازين" [٤].

ويقول: " إن لهم في صلوات الله ورحمته وشهادته جزاء ، جزاء على التضحية بالأموال والأنفس والثمرات، وجزاء على الخوف والجوع والشدة ، وجزاء على القتل والشهادة ، إن الكفة ترجح بهذا العطاء فهو أثقل في الميزان من كل عطاء " [٥].

(١)ينظر: أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب د. ربيع المدخلي ص ١٨٠ وما بعدها .
(٢) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٨١ .
(٣) المصدر السابق ٥/ ٣٠٥١ .
(٤) المصدر السابق ١/ ٢٢ .
(٥) المصدر السابق ١/ ١٤٦ .

المطلب السادس

الحوض والصراط

أولًا : الحوض :

الحوض في اللغة : هو مجمع الماء [١].

وشرعًا : هو حوض الماء النازل من الكوثر ، والذي أعطيه النبي ﷺ في عرصات القيامة [٢].

فالحوض غير الكوثر ولكنه وثيق الصلة به ، حيث يطلق عليه أحيانًا كوثر ، لكونه يمد منه [٣] .

ولم أجد سيد - رحمه الله - تعرض لتفاصيل الحوض ، وإنما أشار في ظلال قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾[٤]، إلى أن الكوثر : صيغة من الكثرة ، وهو مطلق غير محدد ، على عكس ما أطلقه السفهاء عن النبي ﷺ وإذا أراد أحد أن يتتبع هذا الكوثر الذي أعطاه الله لنبيه ﷺ فهو واجده حيثما نظر أو تصور .

هو واجده في النبوة.. وواجده في هذا القرآن الكريم ، وسورة واحدة منه كوثر لا نهاية لكثرته ، وهو واجده في الملأ الأعلى الذي يصلي عليه.. وهو واجده في سنته الممتدة على مدار القرون، وفي الملايين بعد الملايين السائرة على أثره.. الهاتفة باسمه، المحبة له، وهو واجده في الخير الذي فاض على البشرية في جميع أجيالها بسببه وعن طريقه ﷺ ، ولهذا تركه النص بلا تحديد ...

وقد وردت روايات من طرق كثيرة أن الكوثر نهر في الجنة أوتيه رسول الله ﷺ ولكن ابن عباس أجاب بأن هذا النهر هو من بين الخير الكثير الذي أوتيه الرسول،

---

(١) لسان العرب ٧/ ١٤١ .

(٢)فتح الباري ١١/ ٤٦٦ ، شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص ١٢٣ .

(٣) فتح الباري ١١/ ٤٦٧ .

(٤)سورة الكوثر : الآية ١ .

فهو كوثر من الكوثر! وهذا هو الأنسب في هذا السياق "[١].

ثانيًا : الصرط :

الصراط في اللغة : الطريق[٢].

وشرعًا : الجسر المنصوب على متن جهنم لعبور المسلمين عليه الى الجنة "[٣].

والمفسرون على أن المراد بالورد في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[٤]. هو : المرور على الصراط ، وهو الجسر المنصوب على جهنم ، فيقع فيها أهلها وينجو الآخرون.

ويرى آخرون أن المراد بالورود الدخول . والأول هو الراجح[٥].

لم يتعرض سيد – رحمه الله – لتفاصيل حول الصراط ، ولكنه يقول في تفسير آية الورود : " وإن المؤمنين ليشهدون العرض الرهيب ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ فهم يردون فيدنون ويمرون بها وهي تتأجج وتتميز وتتلمظ ، ويرون العتاة ينزعون ويقذفون "﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ فتزحزح عنهم وينجون منها لا يكادون! ﴿ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[٦].

ويقوله في ظلال قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾[٧]: "كذلك انتهى المشهد وألسنتهم معقودة ،وأيديهم تتكلم وأرجلهم تشهد على غير ما يعهدون من أمرهم وعلى غير ما كانوا ينتظرون ... ثم يعرض مشهدًا أخر فيه من البلاء قدر ما فيه من السخرية والاستهزاء... فهم عميان مطموسون ، ثم هم مع هذا العمى يستبقون الصراط ويتزاحمون على العبور ويتخبطون تخبط العميان حين يتسابقون ! ويتساقطون تساقط العميان حين

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٩٨٨ بتصرف يسير .
(٢) لسان العرب ٧/ ٣٤٠ .
(٣) فتح الباري لابن حجر ١١/ ٤٤٦ .
(٤)سورة مريم : الآية ٧١-٧٢ .
(٥) فتح الباري ١١/ ١٤٨ .
(٦)في ظلال القرآن ٤/ ٣٢١٨ .
(٧) سورة يس : الآية ٦٦ .

يسارعون متنافسين "[١].

" ويجعل الله للمؤمنين نورًا " يسعى بين أيديهم وبأيمانهم " نورًا يعرفون به في ذلك اليوم الهائل المائج العصيب الرهيب ، ونورًا يهتدون به في الزحام المريج ، ونورًا يسعى بين أيديهم وبأيمانهم إلى الجنة في نهاية المطاف! .. "[٢].

(١)في ظلال القرآن ٦/ ٢٩٧٣ بتصرف يسير .
(٢) المصدر السابق ٦/ ٣٦١٨ وينظر أيضًا ٦/ ٣٤٨٥ .

المطلب السابع

النـــار وعذابها

ومن الإيمان باليوم الآخر أيضًا : الإيمان بوجود النار ، وهي دار أعدها الله سبحانه وتعالى لأعدائه ولمن عصاه وخالفه ، فهي دار العقوبة في الآخرة ، وقد ورد ذكر النار وعذابها في كتاب الله كثيرًا ، وكذا في أحاديث النبي ﷺ .

وتحدث سيد - رحمه الله - عن النار وعذابها في ظلال الآيات التي ذكرت فيها النار وهي كثيرة جدًا ويكننا بيان ذلك بإيجاز في ما يأتي :

١- أنها مخلوقة موجودة : قال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴾ [١] يقول سيد : " إنها خلقت ووجدت وكانت مرصادًا للطاغين تنتظرهم وترقبهم وينتهون إليها فإذا هي معدة لهم ، مهيأة لاستقبالهم ، وكأنما كانوا في رحلة في الأرض ثم آبوا إلى مأواهم الأصيل! وهم يردون هذا المآب للإقامة الطويلة المتجددة أحقابًا بعد أحقاب " [٢].

وفي ظلال قوله تعالى: ﴿ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [٣]، يقول سيد - رحمه الله -: " وجهنم هنا مخلوقة حية ، تكظم غيظها ، فترتفع أنفاسها في شهيق وزفير، ويملأ جوانحها الغيظ فتكاد تتمزق من الغيظ الكظيم وهي تنطوي على بغض وكره يبلغ إلى حد الغيظ والحنق على الكافرين! .

والتعبير في ظاهره يبدو مجازًا تصويريًا لحالة جهنم ، ولكنه - فيما نحس - يقرر حقيقة ، فكل خليقة من خلائق الله حية ذات روح من نوعها ، وكل خليقة تعرف ربها وتسبح بحمده ، وتدهش حين ترى الإنسان يكفر بربه ، وتتغيظ لهذا الجحود المنكر الذي تنكره فطرتها وتنفر منه روحها ، وهذه الحقيقة وردت في القرآن في مواضع شتى تشعر بأنها تقرر حقيقة مكنونة في كل شيء في هذا الوجود

(١) سورة النبأ : الآية ٢١-٢٢ .
(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٨٠٧ .
(٣) سورة الملك : الآية ٧-٨ .

فقد جاء بصريح العبارة في القرآن: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (١)، (٢).

٢- صفاتها وعذابها:

ذكر القرآن الكريم لجهنم وصفًا مفصلًا في كثير من الآيات القرآنية وقد وقف سيد- رحمه الله- في ظلال تلك الآيات وقفات عديدة ومن كلامه في وصف النار :-

* يقول: " إنها نارٌ فظيعةٌ متسعرةٌ وقودها الناس والحجارة ، الناس فيها كالحجارة سواء ، في مهانة الحجارة وفي رخص الحجارة ، وفي قذف الحجارة ، دون اعتبار ولا عناية ، وما أفظعها نارًا هذه التي توقد بالحجارة ! وما أشده عذابًا هذا الذي يجمع إلى شدة اللذع المهانة والحقارة ! وكل ما بها وما يلابسها فظيع رهيب ، عليها ملائكة غلاظ شداد تتناسب طبيعتهم مع طبيعة العذاب الذي هم به موكلون " (٣).

ويقول:"فهي حطمة تحطم كل ما يلقى فيها، وإضافتها إلى الله في قوله تعالى: ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴾(٤) وتخصيصها هكذا يوحي بأنها نار فذة ، غير معهودة ، ويخلع عليها رهبة مفزعة رعيبة ...مغلقة على أهلها ، لا ينقذهم أحد ولا يسأل عنهم فيها أحد ، وهم موثوقون فيها إلى الأعمدة كما توثق البهائم بلا احترام "(٥).

ويقول : " إنها شيء أعظم و أهوال من الإدراك ..فهي ﴿ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴾ (٦) ، تكنس كنسًا، وتبلع بلعًا، وتمحو محوًا، فلا يقف لها شيء، ولا يبقى وراءها شيء، ولا يفضل منها شيء!.

تتعرض للبشر وتلوح، وتدعو من أدبر وتولى ، فهي تدل على نفسها ، وكأنما تقصد إثارة الفزع في النفوس ، بمنظرها المخيف! " . (٧)

(١) سورة الإسراء : الآية ٤٤ .
(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٦٣٥ .
(٣) في ظلال القرآن ٦/ ٣٦١٨ .
(٤) سورة الهمزة : الآية ٦ .
(٥)في ظلال القرآن ٦/ ٣٩٧٣ بتصرف يسير .
(٦) سورة المدثر : الآية ٢٨ .
(٧) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٥٧ بتصرف ،وينظر أيضًا ٦/ ٣٦٩٨ .

ويقول: " وفي النار لأهلها ﴿ سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾[١] ، فالهواء شواظ ساخن ينفذ إلى المسام ويشوي الأجسام ، والماء متناه في الحرارة لا يُبرد ولا يُروي ، وهناك ظل! ولكنه ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ ظل الدخان اللافح الخانق ، إنه ظل للسخرية والتهكم ، ظل ﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ فهو ظل ساخن لا روْح فيه ولا برد؛ وهو كذلك كز لا يمنح وارده راحة ولا إنعاشًا!...

طعامهم من زقوم شجرة طلعها كرؤوس الشياطين ، ورؤوس الشياطين لم يرها أحد ولكنها تلقي في الحس ما تلقيه! ولفظ الزقوم نفسه يصور بجرسه ملمسًا خشنًا شائكًا مدببًا يشوك الأكف- بله الحلوق- ومع ذلك فإنهم لآكلون منها ﴿ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ فالجوع طاغ والمحنة غالبة ، وإن الشوك الخشن ليدفع إلى الماء لتسليك الحلوق وري البطون! وإنهم لشاربون ﴿ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ ﴾ الساخن الذي لا يبرد غلة ولا يروي ظمأ ﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾ وهي الإبل المصابة بداء الاستسقاء لا تكاد ترتوي من الماء! ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾.. والنزل للراحة والاستقرار، ولكن أصحاب الشمال هذا نزلهم الذي لا راحة فيه ولا قرار! بما كانوا يشركون بالله ولا يخافون وعيده "[٢].

" وسعير النار يشوى الجلود وينضجها، وكلما نضجت بدلت، ليعود الاحتراق من جديد ، ويعود الألم من جديد "[٣]، " لهم ظلل من النار من فوقهم وظلل من تحتهم ، وهم في طبقات هذه الظلل المعتمة تلفهم وتحتوي عليهم وهي من النار"[٤]

" والأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون كما تسحب الأنعام والوحوش في العذاب والمهانة ، ثم ينتهي بهم المطاف إلى ماء حار ونار ، يربطون ويحبسون فيه على طريقة سجر الكلاب أي يملأ لهم المكان ماءً حارًا ونارًا موقدة وإلى هذا ينتهون"[٥].

---

(١) سورة الواقعة : الآية ٤٢-٤٤ .
(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٦٥ بتصرف يسير .
(٣) المصدر السابق ٢/ ٦٨٤ بتصرف .
(٤) المصدر السابق ٥/ ٣٠٤٥ .
(٥)المصدر السابق ٥/ ٣٠٩٧ .

٣-خلود النار وأهلها :

ما دامت النار هي دار الجزاء للكافرين ، وما دام الله قد حكم على الكفار بالخلود في النار فهذا يقضي بقاء النار ودوامها كالجنة ، وهذا ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة من أن الجنة والنار باقيتان لا تفنيان وهو ما قررته الأدلة الكثيرة من الكتاب والسُّنَّة .

وقد قرر سيد – رحمه الله – خلود النار ودوامها وبقاءها في ظلال الآيات التي تتحدث عن خلود النار وأهلها وهي كثيرة جدًا [١].

وبيّن أن الاستثناء الوارد في بعض الآيات إنما هو لبيان طلاقة المشيئة الإلهية ، ففي ظلال قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[٢]، يقول سيد : " فالنار مثابةٌ ومأوى، والمثوى للإقامة ، وهي إقامة الدوام – إلا ما شاء الله– لتبقى صورة المشيئة الطليقة هي المسيطرة على التصور الاعتقادي، فطلاقة المشيئة الإلهية قاعدة من قواعد هذا التصور ، والمشيئة لا تنحبس ولا تتقيد، ولا في مقرراتها هي " [٣].

ويقول: "ومن خلال التعبير نشهد : ﴿ ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ ﴾ نشهدهم في النار مكروبي الأنفاس ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ من الحر والكتمة والضيق ، ونشهد ﴿ ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ ﴾ نشهدهم في الجنة لهم فيها عطاء دائم غير مقطوع ولا ممنوع .

هؤلاء وأولئك خالدون حيث هم ﴿ مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ وهو تعبير يلقي في الذهن صفة الدوام والاستمرار، وقد علق السياق هذا الاستمرار بمشيئة الله في كلتا الحالتين ، وكل قرار وكل سنة معلقة بمشيئة الله في النهاية ، فمشيئة الله هي التي اقتضت السُّنَّة وليست مقيدة بها ولا محصورة فيها ، إنما هي طليقة تبدل هذه السُّنَّة حين يشاء الله " [٤].

---

(١) ينظر : المصدر السابق : ١/ ١٥١ ، ٢٩٣ ، ٥٩٥ ، ٢/ ٨١٣، ٩٥٢ ، ٣/ ١٢٠٧ ، ١٢٨٨ ، ١٦١٤ ، ١٧٩٨ ، ٤/ ١٩٢٩ ، ٢٣٥٢ ، ٢٣٩٩ ، ٥/ ٢٥٧٨ ، ٢٨٨٣ ، ٣٠٦٢ ، ٦/ ٣٢٩٢ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٢٨ .

(٣) في ظلال القرآن ٣/ ١٢٠٧ .

(٤) في ظلال القرآن ٤/ ١٩٢٩ .

المطلب الثامن

الجنة ونعيمها

من الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالجنة ،وأنها حق لا ريب فيه ، والجنة هي دار النعيم التي أعدها الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين ، المشتملة على أصناف النعيم والسرور ، وقد أكثر الله تعالى من ذكر الجنة ونعيمها في كتابه الكريم [١]، وكذا جاءت أحاديث كثيرة تتحدث عن الجنة وما أعده الله فيها لعباده الصالحين مما لا يعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقد تحدث سيد- رحمه الله- عن الجنة ونعيمها عند كل موضع ذكرت فيه في القرآن الكريم، ومن ذلك:

١- أن دخول الجنة مقصور على المؤمنين ، فلا يدخل الجنة كافر ولا مشرك :

ففي ظلال قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[٢]، يقول سيد : "ودونك فقف بتصورك ما تشاء أمام هذا المشهد العجيب.. مشهد الجمل تجاه ثقب الإبرة ، فحين يفتح ذلك الثقب الصغير لمرور الجمل الكبير ، فانتظر حينئذ - وحينئذ فقط - أن تفتح أبواب السماء لهؤلاء المكذبين ، فيقبل دعاءهم أو توبتهم - وقد فات الأوان - وأن يدخلوا إلى جنات النعيم! أما الآن، وإلى أن يلج الجمل في سم الخياط، فهم هنا في النار، التي تداركوا فيها جميعًا وتلاحقوا، وتلاوموا فيها وتلاعنوا " [٣].

٢- أن دخول الجنة إنما هو برحمة الله :

فالمؤمن يعمل ما في وسعه ، ويشعر بالتقصير،ويرجو بعد ذلك ويتطلع إلى رحمة

(١)ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي - دار الحديث - القاهرة طبعة ١٤٢٢هـ، ص ٢٢١-٢٢٣ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ٤٠ .

(٣)في ظلال القرآن ٣/ ١٢٩١ ،وينظر أيضًا : ١/ ١٩٣ .

الله وعفوه بالعمل الصالح والإيمان وإتباع الرسول ﷺ و طاعة الله ورسوله ، ففي ظلال قوله تعالى: ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[١].

يقول سيد - رحمه الله - : " هؤلاء هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات قدر استطاعتهم ، لا يكلفون إلا طاقتهم ، هؤلاء هم يعودون إلى جنتهم ! إنهم أصحابها - بإذن الله وفضله - ورثها لهم - برحمته - بعملهم الصالح مع الإيمان.. جزاء ما اتبعوا رسل الله وعصوا الشيطان، وجزاء ما أطاعوا أمر الله العظيم الرحيم ، وعصوا وسوسة العدو اللئيم القديم ! ولولا رحمة الله ما كفى عملهم - في حدود طاقتهم - وقد قال رسول الله ﷺ : " **لن يُدْخِلَ أحدًا منكم الجنة عمله** " ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال: " **ولا أنا ؛ إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل** " [٢] .

وليس هنالك تناقض ولا اختلاف بين قول الله سبحانه في هذا الشأن ، وقول رسوله ﷺ وهو لا ينطق عن الهوى.. فكل ما ثار من الجدل حول هذه القضية بين الفرق الإسلامية لم يقم على الفهم الصحيح لهذا الدين ، إنما ثار عن الهوى ! فلقد علم الله من بني آدم ضعفهم وعجزهم وقصورهم عن أن تفي أعمالهم بحق الجنة، ولا بحق نعمة واحدة من نعمه عليهم في الدنيا، فكتب على نفسه الرحمة، وقبل منهم جهد المقل القاصر الضعيف ، وكتب لهم به الجنة ، فضلا منه ورحمة ، فاستحقوها بعملهم ولكن بهذه الرحمة " [٣].

ويقول سيد : " ويعرف المؤمنون أن العمل لا يدخل صاحبه الجنة إلا بمنّة من الله وفضل ، فما يبلغ العمل أكثر من أن يشهد لصاحبه أنه بذل جهده ، ورغب فيما عند الله ، وهذا هو المؤهل لفضل الله " [٤].

٣- سعة الجنة :

وأما سعة الجنة فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا

(١) سورة الأعراف : الآية ٤٣ .
(٢) سبق تخريجه ص ٥٩٩ .
(٣)في ظلال القرآن ٣/ ١٢٩١ ، وينظر أيضًا ١/ ٣٤٧ .
(٤) المصدر السابق ٦/ ٣٣٩٧ بتصرف يسير .

كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1].

يقول سيد - رحمه الله -: " وربما كان بعضهم في الزمن الخالي - قبل أن تكشف بعض الحقائق عن سعة هذا الكون - يميل إلى حمل مثل هذه الآية على المجاز، وكذلك حمل بعض الأحاديث النبوية، كذلك الحديث الذي أسلفنا عن أصحاب الغرف التي يتراءاها سكان الجنة كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب.. فأما اليوم ومراصد البشر الصغيرة تكشف عن الأبعاد الكونية الهائلة التي ليس لها حدود، فإن الحديث عن عرض الجنة، والحديث عن تراءي الغرف من بعيد، يقع قطعًا موقع الحقيقة القريبة البسيطة المشهودة، ولا يحتاج إلى حمله على المجاز إطلاقًا! فإن ما بين الأرض والشمس مثلًا لا يبلغ أن يكون شيئًا في أبعاد الكون يقاس! وذلك الملك العريض في الجنة يبلغه كل من أراد، ويسابق إليه كل من يشاء، وعربونه: الإيمان بالله ورسوله "[2]

١ - نعيم الجنة: أما حقيقة النعيم في الجنة وألوانه، فقد ذكر الله سبحانه تعالى في القرآن الكريم وذكر رسوله ﷺ من أنواع النعيم مالا يدرك الإنسان حقيقته في هذه الحياة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[3].

يقول سيد - رحمه الله -: " وهي ألوان من النعيم يستوقف النظر منها - إلى جانب الأزواج المطهرة - تلك الثمار المتشابهة، التي يخيل إليهم أنهم رزقوها من قبل - إما ثمار الدنيا التي تشبهها بالاسم أو الشكل، وإما ثمار الجنة التي رزقوها من قبل - فربما كان في هذا التشابه الظاهري والتنوع الداخلي مزية المفاجأة في كل مرة.. وهي ترسم جوًا من الدعابة الحلوة، والرضى السابغ، والتفكه الجميل، بتقديم المفاجأة بعد المفاجأة، وفي كل مرة ينكشف التشابه الظاهري عن شيء جديد!.

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢١.
(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٩٢.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥.

وهذا التشابه في الشكل، والتنوع في المزية، سمة واضحة في صنعة البارئ تعالى، تجعل الوجود أكبر في حقيقته من مظهره "[١].

ويقول : " وهذا النعيم والمتاع الآخروي هو نعيم حسي في عمومه ، ولكن هنالك فارقًا أساسيًا بينه وبين متاع الدنيا.. فالذين اتقوا ربهم يتطلعون إلى هذا المتاع الحسي الذي يبشرون به يتطلعون إليه في شفافية مبرأة من غلظة الحس ! وفي حساسية مبرأة من بهيمية الشهوة .. وفي هذا المتاع النظيف العفيف عوض كامل عن متاع الدنيا.. وفيه زيادة . .

فإذا كان متاعهم في الدنيا حرثًا مُعطيًا مخصبًا ، ففي الآخرة جنات كاملة تجري من تحتها الأنهار، وهي فوق هذا خالدة وهم خالدون فيها ، لا كالحرث المحدود الميقات! ، وإذا كان متاعهم في الدنيا نساء وبنين ، ففي الآخرة أزواج مطهرة ، وفي طهارتها فضل وارتفاع على شهوات الأرض في الحياة! .

فأما الخيل المسومة والأنعام ، وأما القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، فقد كانت في الدنيا وسائل لتحقيق متاع ، فأما في نعيم الآخرة فلا حاجة إلى الوسائل لبلوغ الغايات! .

ثم ..هنالك ما هو أكبر من كل متاع ..هنالك " رضوان من الله " رضوان يعدل الحياة الدنيا والحياة الأخرى كليهما.. ويرجح.. رضوان بكل ما في لفظه من نداوة، وبكل ما في ظله من حنان"[٢].

" فالنعيم بلا منغصات وبدون عقابيل تعقب اللذة غاية من غايات الخلق والإعادة ، وفيه قمة الكمال البشري.. وهذا كله في الجنة كما وصف القرآن الكريم نعيمها الكامل الشامل "[٣].

ومن الآيات التي وصفت نعيم الجنة أيضًا : ما جاء في سورة الرحمن في الآيات (٤٦-٧٨) ، وتبدأ بقوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ والأظهر أنهما ضمن

(١) في ظلال القرآن ١/ ٤٩ .
(٢) المصدر السابق ١/ ٣٧٥ .
(٣)المصدر السابق ٣/ ١٧٦٤ بتصرف .

الجنة الكبيرة المعروفة ، ولكن اختصاصهما هنا بالذكر قد يكون لمرتبتهما .. فلنشهد الجنتين ولنعش فيهما لحظات :

* إنهما ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ وهي الأغصان الصغيرة الندية .

* ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ فماؤها غزير وسهل يسير.

* ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ ففاكهتهما منوعة كثيرة وفيرة.

* وأهل الجنتين ما حالهم ؟ إننا ننظرهم :﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ وهو المخمل الحرير السميك ، فكيف بظاهر هذه الفرش إذا كانت تلك بطائنها ؟

* ﴿ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ قريب دان ، لا يتعب في قطاف .

ولكن هذا ليس كل ما فيها من رفاهية ومتاع ، فهناك بقية بهيجة لهذا المتاع :

* ﴿ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ فهن عفيفات الشعور والنظر ، لا تمتد إبصارهن إلى غير أصحابهن ، مصونات لم يمسسهن إنس ولا جان ، وهن – بعد هذا – ناضرات لامعات " كأنهن الياقوت والمرجان " فهذا حال الجنتين الأوليين ، ومن دونهما جنتان أوصافهما أدنى من الجنتين السابقتين:

* ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾ مخضرتان خضرة تميل إلى السواد لما فيها من أعشاب .

* ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ بالماء وهو دون الجريان .

* ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ وهناك ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾

* ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ بسكون ياء ﴿ خَيْرَٰتٌ ﴾ أو بتشديدها على الوصف ، وتأويلها .

* ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ فهن يشتركن مع زميلاتهن هناك في الصون والعفاف .

أما أهل هاتين الجنتين فنحن ننظرهما:

* ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴾ وهي الأبسطة ، وكأنها من

صنع "عبقر" لتقريب وصفها إلى العرب" (١).

والآيات في بيان نعيم الجنة وما فيها من لذات كثيرة جدًا، ووقفات سيد - رحمه الله - في ظلالها متنوعة لا يسع المجال هنا لاستقصائها وعرضها، ونكتفي بما سبق الإشارة إليه " (٢).

٥- بقاء الجنة ودوامها : يقرر سيد - رحمه الله- أيضًا في ظلال الآيات التي تتحدث عن خلود الجنة وأهلها، أن الجنة لا تبيد ولا تفنى ، بل هي باقية خالدة ، خالدٌ فيها أهلها (٣).

أما الاستثناء الذي جاء في بعض الآيات كقوله تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾(٤)، وقوله أيضًا : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ (٥)، ونحوها فيرى سيد قطب : أنه يقرر طلاقة المشيئة الإلهية من كل قيد يرد عليها حتى من عملها هي ، لتبقى واضحة ، ويبقى تصورها غير مشوب ، فقد وعد الله أهل الجنة بالخلود وأهل النار كذلك ، وهذا الوعد صادر من المشيئة، ولكنه أبقى المشيئة طليقة خارج نطاق هذا الوعد ذاته وهو من عملها باختيارها ، فقال عن هؤلاء وهؤلاء ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ وهكذا في كل موضع وردت فيه مثل هذه المناسبة " (٦).

٦- رأي سيد قطب في الجنة التي كان فيها آدم -عليه السلام -:

تكلم سيد - رحمه الله - حول الجنة التي كان فيها آدم- عليه السلام - وزوجه قبل أن يهبطا إلى الأرض، وفي موضعين من الظلال، وتساءل بقوله :" ولكن أين كانوا ؟

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٥٧-٣٤٥٨ بتصرف يسير .
(٢) لمزيد من التوسع حول الموضوع ينظر : في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٩٧، ٣٤٦٣ ، ٣٧٨١ ، ٣٩٥٣ .
(٣) ينظر كلامه : في ظلال القرآن في المواضع الآتية ٢/ ٥٩٥ ، ٨٦٤، ٧٦١ ، ٩٦٣ ، ١٠٠٢ ، ٣/ ١٦١٤، ١٧٠٦، ١٧٧٩ ، ٤/ ١٨٦٨ ، ١٩٢٩ ، ٢٢٩٥ ، ٢٣٤٣ ، ٢٣٩٩ ، ٢٤٥٧ ، ٥/ ٢٥٥٥، ٢٧٨٥ ، ٣٠٦٢ ، ٦/ ٣٢٦٠ ، ٣٣٦٥، ٣٤٦٤ ، ٣٦٠٦، ٣٩٥٣ .
(٤) سورة هود : الآية ١٠٧ .
(٥) سورة هود : الآية ١٠٨ .
(٦) في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٧٩ ، وينظر أيضًا ٤/ ١٩٢٩ .

أين هي الجنة ؟ هذا من الغيب الذي ليس عندنا نبأ عنه إلا ما أخبرنا به من عنده مفاتيح الغيب وحده ، وكل محاولة لمعرفة هذا الغيب بعد انقطاع الوحي هي محاولة فاشلة " (١).

وقد ذكر د/ ربيع المدخلي " أن سيد - رحمه الله - خالف أهل السُّنَّة والجماعة وسار وراء مذهب المعتزلة والقدرية في هذا الرأي " (٢) . وذكر الشيخ الدويش أيضًا في المورد الزلال " أن سيدًا - رحمه الله - أخطأ في هذا ، وبين أن الجنة التي عاش فيها آدم وزوجه - عليهما السلام - هي جنة الخلد ، لكونها عرفت بالألف واللام ، وهي تفيد الجنة المتعارف عليها بين الخلق عندما يطلبونها ، وكذا الحديث : " أن موسى قال لآدم أخرجتنا ونفسك من الجنة " (٣)، وحديث الشفاعة: " فيأتون إلى آدم - عليه السلام - فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة ؟ فيقل هل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم " (٤).

وكذا إجماع أهل السُّنَّة على أنها جنة الخلد ، كما حكاه القرطبي في تفسيره وابن القيم في أول مفتاح دار السعادة " (٥).

وقد جاء في تقرير إدارة المطبوعات بالرئاسة العامة للبحوث العلمية والدعوة والإفتاء والإرشاد تعقيب على كلام الشيخ الدويش السابق حول ذكره الإجماع من أهل السُّنَّة على أنها جنة الخلد ، حيث جاء فيه ذكر كلام ابن القيم ، الذي بين فيه حجج القائلين بأنها جنة الخلد وحجج القائلين بأنها غيرها ، وأطال فيه الكلام والنقل عن غير واحد من السلف ، مما يدل على أنه لم يثبت الإجماع على أن الجنة التي عاش فيها آدم وزوجه - عليهما السلام - هي جنة الخلد ، وكذلك ذكر الحافظ ابن كثير القولين وأطال الكلام حولهما . (٦)

---

(١) المصدر السابق ٣/ ١٢٧٠ وينظر أيضًا ١/ ٥٩ .
(٢) أضواء على عقيدة سيد قطب د.ربيع المدخلي ص ١٣١ .
(٣) رواه : البخاري في كتاب الأنبياء باب وفاة موسى ٣/ ١٢٥١ برقم ٣٢٢٨.
(٤) رواه : مسلم في كتاب الإيمان ١/ ١٥٩ برقم ١٩٥.
(٥) المورد الزلال للدويش ص١٠- ١١ .
(٦) المورد الزلال للدويش ص ٣٢٨-٣٣٠ ،وينظر : تفسير ابن كثير ١/ ٢٤١ .

المطلب التاسع

رؤية الله تعالى

رؤية الله -تعالى- من أشرف وأجل مسائل أصول الدين ، وهي الغاية التي شمرّ إليها المشمرون ، وتنافس فيها المتنافسون ، وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون [١]

وقد زعمت الجهمية والمعتزلة أن الله -تعالى - لا يدرك ولن يدرك بشيء من الحواس الخمس[٢]، ولذلك نفوا رؤية الله- تعالى -في الدنيا والآخرة [٣].

أما أهل السُّنَّة والجماعة فإنهم يقولون بجواز الرؤية في الدنيا عقلًا، ولكنها لم تقع لأحد قط لا نبي ولا غير نبي، ولم يختلفوا في ذلك إلا في نبينا ﷺ ويقولون بجوازها عقلًا ووقوعها قطعًا في الآخرة[٤].

واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة من الكتاب والسُّنَّة .

موقف سيد قطب من مسألة الرؤية: أما موقف سيد-رحمه الله- من مسألة الرؤية فبيانه فيما يأتي:

أولا : نفي رؤية الله في الدنيا وسبب ذلك :

ذكر سيد - رحمه الله- في أكثر من موضع أن الناس لا يرون الله تعالى في الدنيا، ولكنهم يجدونه في نفوسهم حين يؤمنون.. فهو بالنسبة لهم غيب ، وإن كانت قلوبهم تعرفه حين تؤمن به [٥].

* ففي ظلال قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ

(١) شرح العقيدة الطحاوية : ١/ ٢٠٨.

(٢) ينظر في ذلك : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٣٤٨ ، والمقالات للأشعري ١/ ٢٣٨ والرد على المريسي للدرامي ص ١٣-١٤ .

(٣) شرح الأصول الخمسة ص ٢٣٢ وما بعدها ، و ص ٣٤٨ .

(٤)ينظر ذلك : التوحيد لابن خزيمة ص ١٨٥ والسُّنَّة لابن أبي عاصم ص ١٩٣ ومنهاج السُّنَّة لابن تيمية ٢/ ٣٢٩ وحادي الأرواح لابن القيم ، ص ٢٢٣ .

(٥) في ظلال القرآن : ٢/ ٩٨٠ وينظر أيضا : ١٢٧٣ .

ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[١] يقول سيد: " إن الذين كانوا يطلبون في سذاجة أن يروا الله، كالذين يطلبون في سماجة دليلًا ماديًا على الله ! هؤلاء وهؤلاء لا يدركون ماذا يقولون! ، إن أبصار البشر وحواسهم وإدراكهم الذهني كذلك ، كلها إنما خلقت لهم ليزاولوا بها التعامل مع هذا الكون، والقيام بالخلافة في الأرض ، وإدراك آثار الوجود الإلهي في صفحات هذا الوجود المخلوق ، فأما ذات الله - سبحانه - فهم لم يوهبوا القدرة على إدراكها ، لأنه لا طاقة للحادث الفاني أن يرى الأزلي الأبدي، فضلًا على أن هذه الرؤية لا تلزم لهم في خلافة الأرض ، وهي الوظيفة التي هم معانون عليها وموهوبون ما يلزم لها "[٢].

* وفي ظلال قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

يقول سيد - رحمه الله -: " إننا لفي حاجة إلى استحضار ذلك الموقف الفريد في خيالنا وفي أعصابنا وفي كياننا كله ، في حاجة إلى استحضاره لنستشرف ونحاول الاقتراب من تصوره ، ولنشعر بشيء من مشاعر موسى - عليه السلام - فيه..إنها الوهلة المذهلة وموسى يتلقى كلمات ربه ، وروحه تتشوف وتستشرف وتشتاق إلى ما يشوق! فينسى من هو ، وينسى ما هو ، ويطلب ما لا يكون لبشر في هذه الأرض، وما لا يطيقه بشر في هذه الأرض ، يطلب الرؤية الكبرى ، وهو مدفوع في زحمة الشوق ودفعة الرجاء ولهفة الحب ورغبة الشهود ، حتى تنبهه الكلمة الحاسمة الجازمة ﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ ثم يترفق به الرب العظيم الجليل ، فيعلمه لماذا لن يراه ، إنه لا يطيق ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ ﴾ والجبل أمكن وأثبت ، والجبل مع تمكنه وثباته أقل تأثرًا واستجابة من الكيان البشري ، ومع ذلك فماذا ؟ ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ .

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٠٣ .

(٢) في ظلال القرآن : ٢/ ١١٦٦- ١١٦٧ ، وينظر أيضا : ٥/ ٣٠٩٣ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٤٣ .

فكيف كان هذا التجلي ؟ نحن لا نملك أن نصفه ، ولا نملك أن ندركه ، ولا نملك أن نستشرفه إلا بتلك اللطيفة التي تصلنا بالله ، حين تشف أرواحنا وتصفو، وتتجه بكليتها إلى مصدرها ، فأما الألفاظ المجردة فلا تملك أن تنقل شيئًا ، لذلك لا نحاول بالألفاظ أن نصور هذا التجلي ، ونحن نميل إلى اطراح كل الروايات التي وردت في تفسيره ، وليس منها رواية عن المعصوم ﷺ والقرآن الكريم لم يقل عن ذلك شيئًا .

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ وقد ساخت نتوءاته ، فبدا مسوَّىً بالأرض مدكوكًا ، وأدركت موسى رهبة الموقف ، وسرت في كيانه البشري الضعيف ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾.

مغشيًا عليه ، غائبًا عن وعيه ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ ﴾ وثاب إلى نفسه ، وأدرك مدى طاقته ، واستشعر أنه تجاوز المدى في سؤاله ﴿ قَالَ سُبْحَٰنَكَ ﴾! تنزهت وتعاليت عن أن ترى بالأبصار وتدرك ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ عن تجاوزي للمدى في سؤالك! ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ والرسل دائمًا هم أول المؤمنين بعظمة ربهم وجلاله "[1].

* وفي ظلال قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾[2] .

يقول سيد : " ويقطع هذا النص بأنه ليس من شأن إنسان أن يكلمه الله مواجهة، وقد روي عن عائشة رضي الله عنها : " من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية"[3]. إنما يتم كلام الله للبشر بواحدة من ثلاث ﴿ وَحْيًا ﴾يلقى في النفس مباشرة فتعرف أنه من الله ، ﴿ أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾كما كلم الله موسى عليه السلام - وحين طلب الرؤية لم يجب إليها ، ولم يطق تجلي الله على الجبل ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ وهو الملك ﴿ فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ بالطرق التي وردت عن رسول الله ﷺ "[4].

---

(١) في ظلال القرآن : ٣/ ١٣٦٨- ١٣٦٩ .
(٢) سورة الشورى : الآية ٥١ .
(٣) سبق تخريجه .
(٤) في ظلال القرآن : ٥/ ٣١٦٩- ٣١٧٠ .

فمن هذه النصوص يتبين لنا أن سيد - رحمه الله - يقرر ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة من أن الله تعالى لا يرى في الدنيا ، ويوضح أن السبب في ذلك هو أن البشر بتركيبتهم وخلقتهم لا يطيقون رؤية الله تعالى وأن هذه الرؤية لا تلزمهم في الدنيا.

أما رؤية النبي ﷺ لربه فقد قرر سيد - رحمه الله - أيضا ما عليه جمهور أهل السُّنَّة والجماعة من أنه ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج وإنما رأى النور الذي هو حجاب الرحمن وقد أورد حديث عائشة رضي الله عنها : " من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية " وحديث أنه ﷺ سئل: " هل رأيت ربك ؟ فقال : نور إني أراه"[١]، [٢].

ثانيًا : إثبات رؤية الله في الآخرة :

قرر سيد - رحمه الله - أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة ، وأن الكفار محجوبون عن رؤيته ، ففي ظلال قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [٣] .

يقول سيد : " لقد حجبت قلوبهم المعاصي والآثام ، حجبتها عن الإحساس بربها في الدنيا ، وطمستها حتى أظلمت وعميت في الحياة ، فالنهاية الطبيعية والجزاء الوفاق في الآخرة أن يحرموا النظر إلى وجه الله الكريم ، وأن يحال بينهم وبين هذه السعادة الكبرى ، التي لا تتاح إلا لمن شفت روحه ورقت وصفت واستحقت أن تكشف الحجب بينها وبين ربها ، ممن قال فيهم في سورة القيامة ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ وهذا الحجاب عن ربهم ، عذاب فوق كل عذاب ، وحرمان فوق كل حرمان ونهاية بائسة لإنسان يستمد إنسانيته من مصدر واحد هو اتصاله بروح ربه الكريم ، فإذا حجب عن هذا المصدر فقد خصائصه كإنسان كريم، وارتكس إلى درجة يستحق معها الجحيم " [٤].

وفي ظلال قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [٥].

يقول سيد : " إن هذا النص ليشير إشارة سريعة إلى حالة تعجز الكلمات عن

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) في ظلال القرآن : ٤/ ٢٥١٩ ، ٥/ ٣١٦٩ .
(٣) سورة المطففين : الآية ١٥ .
(٤) في ظلال القرآن : ٦/ ٣٨٥٨ .
(٥) سورة القيامة : الآية ٢٢ - ٢٣ .

تصويرها ، كما يعجز الإدراك عن تصورها بكل حقيقتها ، ذلك حين يعد الموعودين السعداء بحالة من السعادة لا تشبهها حالة حتى لتتضاءل إلى جوارها الجنة بكل ما فيها من ألوان النعيم! هذه الوجوه الناضرة ، نضرها أنها إلى ربها ناظرة .. إلى ربها..؟! فأي مستوى من الرفعة هذا ؟ أي مستوى من السعادة ؟.

إن روح الإنسان لتستمتع أحيانًا بلمحة من جمال الإبداع الإلهي في الكون أو النفس ، تراها في الليلة المقمرة ، أو الليل الساجي ، أو الفجر الوليد ، أو الظل المديد، أو البحر العباب ، أو الصحراء المنسابة أو الروض البهيج ، أو الطلعة البهية، أو القلب النبيل ، أو الإيمان الواثق ، أو الصبر الجميل ..إلى آخر مطالع الجمال في هذا الوجود .. فتغمرها النشوة ، وتفيض بالسعادة ، وترف بأجنحة من نور في عوالم مجنحة طليقة ، وتتوارى عنها أشواك الحياة ، وما فيها من ألم وقبح ، وثقلة طين وعرامة لحم ودم ، وصراع شهوات وأهواء . . فكيف ؟ كيف بها وهي تنظر لا إلى جمال صنع الله ولكن إلى جمال ذات الله ؟ .

ألا إنه مقام يحتاج أولًا إلى مد من الله ، ويحتاج ثانيًا إلى تثبيت من الله ، ليملك الإنسان نفسه ، فيثبت ويستمتع بالسعادة ، التي لا يحيط بها وصف ، ولا يتصور حقيقتها إدراك! .

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ومالها لا تتنضر وهي إلى جمال ربها تنظر؟

إن الإنسان لينظر إلى شيء من صنع الله في الأرض، من طلعة بهية ، أو زهرة ندية ، أو جناح رفاف أو روح نبيل ، أو فعل جميل ، فإذا السعادة تفيض من قلبه على ملامحه ، فيبدو فيها الوضاءة والنضارة ، فكيف بها حين تنظر إلى جمال الكمال، مطلقًا من كل ما في الوجود من شواغل عن السعادة بالجمال ؟ فما تبلغ الكينونة الإنسانية ذلك المقام ، إلا وقد خلصت من كل شائبة تصدها عن بلوغ ذلك المرتقى الذي يعز على الخيال! كل شائبة لا فيما حولها فقط، ولكن فيها هي ذاتها من دواعي النقص والحاجة إلى شيء ما سوى النظر إلى الله . .

فأما كيف تنظر؟ بأي جارحة تنظر ؟ وبأي وسيلة تنظر ؟ فذلك حديث لا يخطر على قلب يمسه طائف من الفرح الذي يطلقه النص القرآني ، في القلب المؤمن ،

والسعادة التي يفيضها على الروح ، والتشوف والتطلع والانطلاق! فما بال أناس يحرمون أرواحهم أن تعانق هذا النور الفائض بالفرح والسعادة ؟ ويشغلونها بالجدل حول مطلق ، لا تدركه العقول المقيدة بمألوفات العقل ومقرراته؟!.

إن ارتقاء الكينونة الإنسانية وانطلاقها من قيود هذه الكينونة الأرضية المحدودة، هو فقط محط الرجاء في التقائها بالحقيقة الطليقة يومذاك ، وقبل هذا الانطلاق سيعز عليها أن تتصور مجرد تصور كيف يكون ذلك اللقاء .

وإذن فقد كان جدلًا ضائعًا ذلك الجدل الطويل المديد الذي شغل به المعتزلة أنفسهم ومعارضيهم من أهل السُّنَّة والمتكلمين حول حقيقة النظر والرؤية في مثل ذلك المقام .

لقد كانوا يقيسون بمقاييس الأرض، ويتحدثون عن الإنسان المثقل بمقررات العقل في الأرض، ويتصورون الأمر بالمدارك المحدودة المجال.

إن مدلول الكلمات ذاته مقيد بما تدركه عقولنا وتصوراتنا المحدودة ، فإذا انطلقت وتحررت من هذه التصورات فقد تتغير طبيعة الكلمات ، فالكلمات ليست سوى رموز يختلف ما ترمز إليه بحسب التصورات الكامنة في مدارك الإنسان ، فإذا تغيرت طاقته تغير معها رصيده من التصورات ، وتغيرت معها طبيعة مدلول الكلمات ، ونحن نتعامل في هذه الأرض بتلك الرموز على قدر حالنا ! فما لنا نخوض في أمر لا يثبت لنا منه حتى مدلول الكلمات؟! .

فلنتطلع إلى فيض السعادة الغامر الهادئ، وفيض الفرح المقدس الطهور، الذي ينطلق من مجرد تصورنا لحقيقة الموقف على قدر ما نملك، ولنشغل أرواحنا بالتطلع إلى هذا الفيض، فهذا التطلع ذاته نعمة، لا تفوقها إلا نعمة النظر إلى وجهه الكريم "[1].

وقفة مع دعوى إنكار سيد قطب لرؤية الله وتأويلها :

ذكر الدكتور / ربيع المدخلي فقرات مجتزئة من النص السابق تحت عنوان: "تشكيك سيد قطب في رؤية الله بل إنكاره لها" حيث ذكر بداية كلام سيد في النص

(١) في ظلال القرآن : ٦/ ٣٧٧٠- ٣٧٧١ .

السابق وهو قوله " إن هذا النص يشير إشارة سريعة ... إلى قول سيد - رحمه الله- " بكل ما فيها من نعيم .

ثم تجاوز كلاما كثيرًا لسيد بعد هذا يتحدث فيه عن سبب نضارة وجوه المؤمنين وأنها بسبب نظرهم إلى الله تعالى ، ثم ذكر فقرة من كلام سيد - رحمه الله - وهي قوله " فأما كيف تنظر ؟ وبأي جارحة تنظر ؟ وبأي وسيلة تنظر ؟ فذلك حديث لا يخطر على قلب يمسه طائف الفرح الذي يطلقه النص ... إلى قوله : " وإذن فقد كان جدلًا ضائعًا ذلك الجدل الذي شغل المعتزلة أنفسهم ومعارضيه من أهل السُّنَّة والمتكلمين حول حقيقة النظر والرؤية .

ثم تجاوز بقية كلام سيد - رحمه الله - كله المذكور في النص السابق، وعقب بعد ذلك بقوله: " وهكذا !! بمثل هذه السفسطة والتهاويل يظن سيد قطب أنه قد حل مشكلة الخلاف بين أهل السُّنَّة والمعتزلة ! ولا يدري أنه قد انحاز إلى المعتزلة في إنكار رؤية الله تعالى فما هي تلك الحالة من السعادة التي لا يدري القارئ ما هي ؟ والقرآن قد حددها بالنظر إلى الله ، والسُّنَّة المتواترة أكدتها وآمن بها السلف الصالح ثم ذكر حديث النبي ﷺ : " إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته " [1]، وغيره من الأحاديث التي تثبت أن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة ثم قال: " وسيد قطب يشكك في هذا الأمر العظيم الثابت بالكتاب والسُّنَّة المتواترة ، ويرى انه يعز تصوره مجرد تصور ، ولا يدري كيف ينظر وبأي جارحه وبأي وسيلة ينظر ... ثم ذكر أنه ليس وحده الذي أدان سيد قطب بإنكاره لرؤية الله في الدار الآخرة فقد سبقه صاحب كتاب " على مائدة القرآن " [2] حيث انتقد فيه كلام سيد - رحمه الله - في كتاب " مشاهد القيامة " والذي يقول فيه: " ونشهد الفجار محجوبين عن ربهم لا يرونه ، والله لن يراه إنسان .." [3] .

وقد ذكر أيضًا سليم الهلالي في كتابه "الجماعات الإسلامية" كلامًا قريبًا من كلام

---

(١) رواه : مسلم في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية ١/ ١٤٣ برقم ١٨٢ ، ١٨٣ .
(٢) هو الأستاذ/ احمد محمود جمال وكلامه في كتاب " على مائدة القرآن " ص ٥٣- ٥٤ .
(٣) أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب ، د/ ربيع المدخلي ص ١٣٥- ١٣٨ بتصرف .

الدكتور المدخلي[١]

ولنا هنا وقفة :

أولًا : أن فيما سبق بيانه من نفي سيد – رحمه الله – للرؤية في الدنيا وبيانه لسبب ذلك ، ومن إثباته للرؤية في الآخرة كما في النصوص السابقة، ما يرد على من يقول بأن سيد قطب ينكر الرؤية ويشكك فيها .

ثانيًا : لا أدري لماذا استبعد الدكتور المدخلي فقرات من كلام سيد – رحمه الله – وفيها إثبات النظر إلى ذات الله ووجه الكريم ، وإذا كان كلامه في هذا النص كلامًا موهمًا في بعض فقراته فلماذا لم ينظر إلى كلام سيد – رحمه الله – في ظلال الآيات التي تتحدث عن رؤية الله وحجب الكفار عن رؤيته ، وقد سبق عرض كلامه فيها، وكيف يقرر أن سيدًا – رحمه الله – قد انحاز للمعتزلة في إنكاره الرؤية من أين فهم ذلك ؟؟ .

إن سيدًا – رحمه الله – في النص نفسه ينتقد المعتزلة الذين شغلوا أنفسهم وغيرهم من أهل السُّنَّة بالجدل حول القضية بقوله: " وإذن فقد كان جدلًا ضائعًا ذلك الجدل الطويل المديد الذي شغل به المعتزلة أنفسهم ومعارضيهم من أهل السُّنَّة والمتكلمين حول حقيقة النظر والرؤية " فكلامه نقدا للمعتزلة الذين شغلوا أنفسهم ومعارضيهم .." ، وليس نقدًا لأهل السُّنَّة وانحيازًا للمعتزلة كما فهمه الدكتور المدخلي .

وأظن أن وقفة تأمل منصفة متجردة للنصوص السابقة توضح بجلاء حقيقة موقف سيد قطب من مسألة الرؤية ، وحقيقة ما أشيع حوله من نفي لها وتأويل .

---

(١)انظر : الجماعات الإسلامية ، سليم الهلالي .

الخاتمة

أحمد الله تعالى على ما أنعم به عليّ من تيسير الأسباب لإتمام كتابة هذا البحث ، الذي عرضت فيه منهج سيد قطب – رحمه الله– وآراءه في أبواب ومسائل العقيدة وقد توصلت إلى النتائج والتوصيات الآتية :

أولًا : نتائج البحث :

١- عاش سيد قطب – رحمه الله – في القرن الرابع عشر الهجري (٢٠ الميلادي)، وهو عصر شهد تحولات وتغيرات في كثير من ملامح الحياة في العالم عمومًا والعالم الإسلامي خصوصًا ، حيث تميز بنمو الروح القومية لدى الشعوب، وظهور الفكر الاشتراكي ، وسقوط الخلافة الإسلامية ووقوع العالم الإسلامي تحت الاحتلال الصليبي ، بالإضافة إلى سيادة الاتجاه العلمي وموجة الانحلال الخلقي وما نتج عنها .

٢- شهدت الحالة السياسية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية في مصر في هذه الفترة حراكًا واسعًا وتقلبات عدة في النظم القائمة، وكذا في الأوضاع العلمية والاجتماعية والثقافية ، حيث ساد الفساد السياسي في الوزارات المتعاقبة وزاد خط الانحراف العقدي والضعف والجمود العلمي ، وظهرت الطبقية في فئات المجتمع وبرزت حركات التنصير والتغريب والعلمنة ، وتحرير المرأة ، والصراع بين أصحاب التوجه الإسلامي والتوجهات غير الإسلامية عمومًا .

٣- ولد سيد قطب في أسرة متدينة وعاش حياته الأولى في القرية ، نشأ فيها وتلقى تعليمه الأولى ، ثم سافر إلى القاهرة وواصل حياته فيها حتى وفاته ، وقد مر سيد قطب في حياته بخمس مراحل لكل مرحلة منها ملامحها وخصائصها، وهي إجمالًا :

المرحلة الأولى : نشأته في القرية على تقاليد الإسلام السائدة في عصره ، وفيها أنهى دراسته الأولية وحفظ القرآن بجهد ذاتي ، مع اهتمامه بالقراءة والمطالعة .

المرحلة الثانية : انتقاله إلى القاهرة وانقطاع صلته بنشأته الأولى ، وتحوله نحو الأدب وتأثره بأستاذه العقاد ومكتبته ، وبالثقافة و الأوضاع السائدة.

المرحلة الثالثة : مرحلة الضياع والارتياب في الحقائق الدينية ، نتيجة لتأثره بالثقافة الغربية السائدة ، حيث عاش ضياعا فكريًا لا سلوكيًا ،عبرت عنه كتاباته في هذه المرحلة .

المرحلة الرابعة : مرحلة الإقبال على مطالعة القرآن لدواعٍ أدبية ونقدية ،حيث اكتشف الإسلام من خلال الأدب.

المرحلة الخامسة : مرحلة تأثره بالقرآن وتدرجه في الإيمان وهي مرحلة حياته الإسلامية ، والتي بدأت بتوجهه إلى الفكر الإسلامي قبل سفره إلى أمريكا وانتهت بإعدامه عام ١٩٦٦هـ وتشمل ثلاث محطات ولكل منها ملامحها وهي:

أ- مرحلة الإسلاميات الفنية: وتمثلت في دراسته للقرآن من منطلق الدراسة الأدبية النقدية البحتة، وفيها كتب التصوير الفني ومشاهد القيامة في القرآن .

ب- مرحلة الإسلاميات الفكرية : وفيها تحول إلى القضايا الفكرية التي لاحظها أثناء دراسته الأدبية للقرآن ، وفيها ألف كتاب العدالة الاجتماعية .

ج- مرحلة الإسلاميات الحركية : وتمثل مرحلة الانتماء الحقيقي للإسلام والعمل الدعوي والحركي ،وفيها ألف كتبه الإسلامية كلها ، وانشأ تنظيم ٦٥م .

٤- أتصف سيد قطب بمجموعة من الصفات تمثلت في الهمة العالية وقوة الشخصية والاستعلاء بالإيمان وسعة الثقافة والثبات وصدق التدين وغيرها .

٥- تولى سيد مجوعة من الأعمال تمثلت في التدريس والعمل في وزارة المعارف وخبيرًا للمناهج وعمله التربوي مع الإخوان بالإضافة إلى رحلاته إلى أمريكا ودمشق والقدس ثم انشغاله بالتأليف طوال سجنه وحتى وفاته .

٦- تعرض سيد قطب لمحنتين في حياته تمثلت في سجنه مرتين، الأولى مع قيادات الإخوان لمدة عشر سنوات من عام ٥٤ -١٩٦٤م ، حيث خرج بعفو صحي، والثانية من عام ٦٥-٦٦م وانتهت بإعدامه ، حيث صب عليه صنوفا من

العذاب في السجن ، بالإضافة إلى أمراضه المزمنة ، ومع ذلك فقد جعل من سجنه فرصة للتأمل والتأليف حيث بلغت مؤلفاته قرابة ٣٠ مؤلفًا طبع بعضها و فقد الأخر.

٧- لسيد مكانته العلمية والدعوية والفكرية في أوساط الصحوة المعاصرة ، وتتمثل في كثرة مؤلفاته التي كان لها أثرها في مسيرة العمل الإسلامي والدعوة والحركة المعاصرة ، وما نتج عنها من اختلاف الناس حول فكره وآرائه بين غالٍ وجافٍ ومنصف ، وكذلك في كثرة الاطروحات العلمية والمؤلفات حولَه ، حيثُ بلغت عدد الأطروحات حوله أكثر من خمسة وعشرين رسالة علمية بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب والمقالات.

٨- فيما يتعلق بمنهجه في تقرير العقيدة :

أ- كان سيد قطب موافقًا لما عليه أهل السُّنَّة في الاعتماد على مصادر تلقي تقرير العقيدة ، والمتمثلة في الكتاب والسُّنَّة والفطرة والعقل، ومخالفته لمنهج الفلاسفة وعلماء الكلام في تقرير العقيدة، حيث بين مخالفتهم لمنهج القرآن في هذا الباب ونقد ما عندهم من أخطاء في هذا الباب ، مع وقوعه في خطأ فيما يتعلق بالأخذ بحديث الآحاد في العقيدة ،

ب- فيما يتعلق بموقفه من العقل وفطرية المعرفة يقرر ما عليه أهل السُّنَّة وينتقد المخالفين ، وكذا فيما يتعلق بقضية تطور العقيدة ومقارنة الأديان ، حيث يرى سيد بطلان نظرية تطور العقيدة وبطلان منهج علماء مقارنة الأديان الغربيين ومن تأثر بهم في هذا الباب ومخالفتهم لنمهج القرآن الكريم .

٩- اهتم سيد قطب – رحمه الله – كثيرًا ببيان أهمية العقيدة الإسلامية وخصائصها ومميزاتها ، وتقرير منهج القرآن في عرضها والدعوة إليها ،كما حذر كثيرًا من وسائل الأعداء في محاربتها وصرف الناس عنها ،

١٠- فيما يتعلق بموقف سيد قطب – رحمه الله – من المخالفين عقديًا نجد أنه :

أ – يقرر ما جاء في القرآن والسُّنَّة حول الموقف من أهل الكتاب والمشركين والوثنيين والملاحدة عمومًا والمتمثل في اعتقاد كفرهم ووجوب بغضهم

والتميز عنهم ، كما عمل على فضح أهدافهم ومخططاتهم ضد الإسلام وحذر من المذاهب والنظريات الإلحادية والمادية كالشيوعية والوجودية والداروينية والعلمانية والقومية وغيرها ، وبين فسادها و ضلالها.

ب- المخالفين لمنهج السلف من المتكلمين والفلاسفة والصوفية وأهل الأهواء "العصرانيين" وغيرهم ،بيَّن سيد قطب المأخذ عليهم ، ونقد ما عندهم من أخطاء في باب العقيدة.

١١- فيما يتعلق بمنهجه في باب مسائل الإيمان :

أ - يقرر سيد قطب ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة من تعريف الإيمان لغةً واصطلاحًا، وعلاقته بالعمل ، وكذا العلاقة بين الإيمان والإسلام ، وزيادة الإيمان ونقصانه، وكذا حكم مرتكب الكبيرة .

ب- فيما يتعلق بقضية التكفير وما ثار حولها من جدل تبيَّن لنا من خلال جمع النصوص المتعلقة بهذه القضية أن سيد قطب يفرق بين الحكم على الأنظمة والأوضاع وبين الحكم على الأفراد ، وأن الذين اعتمدوا على بعض النصوص دون بعضها الآخر ، أو على فقرات مجتزأة من سياقها، أو اغفلوا الضوابط التي ذكرت في سياق بعض النصوص فهموا كلامه على غير ما أراد.

١٢- فيما يتعلق بمنهجه في باب التوحيد:

أ - يوافق سيد قطب ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة في حقيقة التوحيد وشموله للألوهية والربوبية والأسماء والصفات، وإن كان له رأي في بيان معنى الألوهية والربوبية غير ما عليه السلف لكنه خلاف لفظي .

ب-في باب توحيد الربوبية يقرر سيد منهج القرآن في الاستدلال على الربوبية وينتقد المناهج المخالفة في تقرير وجود الله ووحدانيته . كما انتقد نظرية قِدم العالم ، وكذا وحدة الوجود والحلول والإتحاد ، فيما يتعلق بالقدر يقرر ما عليه أهل السُّنَّة في مسائل القدر عمومًا ويخالف ما عند المتكلمين والفلاسفة.

ج- في باب توحيد الأسماء والصفات : يثبت الأسماء الحسنى بمعانيها التي دلت عليها .

ويثبت الصفات الإلهية إجمالًا ويرد على النفاة والمؤولين وإن وقع في بعض الأحيان في التأويل باعترافه نفسه وتراجعه عن التأويل . أما موقفه من الصفات تفصيلًا فقد كان في الغالب موافقًا لما عليه أهل السُّنَّة والجماعة إلا في قضايا قليلة محدده كما سبق .

د- في باب توحيد الألوهية اهتم سيد قطب كثيرًا ببيان منهج القرآن الكريم في تقرير توحيد الألوهية حيث بيَّن أن للألوهية ثلاثة مجالات :

* مجال الاعتقاد وهو : معنى لا إله إلا الله .

* مجال العبادة والشعائر.

* مجال الحاكمية والتشريع .

١٣- في باب نواقض التوحيد والإيمان ذكر سيد -رحمه الله- النواقض المتمثلة بالشرك وأنواعه ، والكفر وأنواعه ، والنفاق وهو في ذلك يقرر ما جاء في القرآن الكريم والسُّنَّة الشريفة ، مع اهتمامه كثيرًا ببيان شرك الحاكمية وما تفرع عنه باعتباره أبرز أنواع الكفر في هذا العصر، وعنه ينتج ما سواه .

١٤- فيما يتعلق بمنهجه في باب الملائكة والجن والشياطين يقرر ما عليه السلف من وجودهم وصفاتهم وأعمالهم ويرد على المخالفين في هذا الباب .

١٥- فيما يتعلق بالأنبياء والرسل يقرر أيضًا ما عليه السلف في هذا الباب من حقيقة النبوة وصفات الأنبياء ووظائفهم وعصمتهم وغير ذلك ، ويرد على المخالفين في هذا الباب ، وما يتعلق بكلام سيد حول موسى u في بعض كتبه السابقة نجد أن له كلامًا مختلفًا في كتبه الإسلامية الأخيرة فيه تعظيم لموسى عليه السلام مما يدل على أن كلامه في التصوير الفني كان في مرحلة لها حكمها .

١٦- فيما يتعلق بنبوة محمد ﷺ يقرر سيد أهمية بعثته ﷺ وحاجة العالم إليها وأثرها على البشرية ، وكذا دلائل نبوته وصفاته وخصائصه ومعجزاته وبيناته ،

حيث يرى أن معجزة النبي ﷺ هي القرآن الكريم وما سواه من الخوارق فإنما كان إكرامًا أو تثبيتًا له، ولم يكن خارقة على سبيل التحدي بها .

١٧ - فيما يتعلق بالصحابة - رضوان الله عليهم - تحدث سيد قطب عن عظمة جيل الصحابة ، وبين مميزات هذا الجيل الفريد وخصائصه والواجب نحوهم ، أما كلامه حول بعض الصحابة فقد تبَّين لنا أنه كان قبل التزامه أو في بداية تحوله نحو الإسلام ، وأنه عدل ما جاء في كتابه" العدالة الاجتماعية" في الطبعة المنقحة قبل موته بسنتين، بالإضافة إلى أن في كتبه الأخيرة ما ينقضه .

١٨ - فيما يتعلق بالخلافة يقرر سيد قطب أهمية الخلافة الصالحة ويستعرض خصائص نظام الحكم في الإسلام ، وكذا مكانة الحاكم المسلم وحقوقه وواجباته ، ونظام الشورى وما يتعلق به ، ونظرته للأنظمة المعاصرة ووسائل التغيير ، حيث يقرر أهمية بناء القاعدة الإسلامية في المجتمع كأساس للتغيير.

١٩ - فيما يتعلق بالمعاد واليوم الآخر يبين سيد قطب - رحمه الله - أهمية اليوم الآخر وأثره في الحياة ، كما تناول مقدمات اليوم الآخر من التوبة والموت وحياة البرزخ وأشراط الساعة وكذا أحداث القيامة وما فيها حتى الاستقرار في الجنة أو النار ، وله بعض الآراء التي خالف فيها القول الراجح عند أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب مثل:رأيه في خروج يأجوج ومأجوج ، والميزان.

والخلاصة : نستطيع القول بأن سيد قطب - رحمه الله - كان إجمالًا في باب العقيدة موافقًا لما عند أهل السُّنَّة والجماعة مخالفًا للفرق المخالفة لهم ، وأن الأخطاء التي وقع فيها سيد قطب في باب العقيدة تتمثل في الآتي :

أ-إما قضايا علمية خلافية كالموقف من حديث الآحاد،وقضية سحر النبي ﷺ.

ب- أخطاء في كتبه الأدبية السابقة لالتزامه ، أو في الكتب التي ألفها في بداية تحوله نحو الفكر الإسلامي وقبل تعمقه في الدراسات الإسلامية ، في الطبعات المنقحة منها وكذا كتبه المتأخرة ما يخالفها أو ينقضها .

ج- إما كلام موهم أدبي حول بعض القضايا استنتج بعضهم منه أن سيد قطب يقرر خلاف ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة ، ولكن يوجد له كلام آخر أكثر

وضوحًا حول تلك القضايا، من أمثلة ذلك: القول بخلق القرآن، ووحدة الوجود، وتأويل الصفات ونحوها.

ثانيًا : توصيات :

١- بالرغم من كثرة البحوث التي دارت موضوعاتها حول سيد قطب - رحمه الله- من جوانب متعددة، إلا أنه لا زال هناك بعض الجوانب التي لم تدرس، أوصي الباحثين بالاهتمام ببحثها منها :

أ- منهج سيد قطب وآراءه واختياراته الفقهية.

ب- أحداث السيرة في ظلال القرآن (دروس وعبر).

ج- المنظومة القِيَمِيَّـة في فكر سيد قطب.

د- معالم الدعوة في ظلال القرآن.

٢- أوصي الباحثين أيضًا بالاهتمام بتقريب تراث سيد قطب، وإبراز الجوانب المضيئة في فكره وهي كثيرة جدًا، حتى يتسنى الاستفادة منها في العمل الإسلامي المعاصر.

٣- أوصي القائمين على نشر تراث سيد قطب - رحمه الله- بإعادة طباعة كتب سيد مع تدوين الملاحظات التي أشار إليها كثير من أهل العلم والباحثين حول الأخطاء التي وقع فيها سيد في المواضع التي وردت فيها من كتبه، بيانًا للحق، وقطعًا للطريق على الذين يتخذون من هذه الأخطاء ذريعةً للطعن في سيد قطب والتحذير من فكره وكتبه بدعوى حماية الشباب - زعموا - .

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يلهمنا رشدنا، وأن يبرم لهذه الأمة أمرًا رشدًا، يُعز فيه أهل الطاعة ويذل فيه أهل المعصية، وأن يرينا الحق حقًا ويرزقنا إتباعه، وأن يرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

المراجع

١-الإحسان في تقريب صحيح ابن حيان للفارسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، عام ١٩٩١م.

٢-إحياء علوم الدين ، لأبي حامد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط . ب.ت.

٣- إرشاد الفحول ، للإمام الشوكاني، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ، ط٤ ، ١٤١٤هـ.

٤-أساس التقديس، لفخر الدين الرازي، مطبعة كردستان العلمية، عام ١٣٢٨ هـ.

٥-أساليب الغزو الفكري ، د/ علي جريشة ، دار الاعتصام ، القاهرة ، طبعة عام ١٩٩٨م.

٦-أُسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، دار الفكر - بيروت ، طبعة عام ١٩٩٣ م.

٧- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني ، مطبعة الاستقامة ،القاهرة ، ب.ت .

٨-أسرار حركة الضباط الأحرار ، حسين حمودة ، دار الزهراء ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٧م .

٩-إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني ، دار العلم ، بيروت ، ط١٩٨٥م .

١٠-أصول الفقه الإسلامي: محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي- القاهرة-ب. ت.

١١-أصول الكافي للكليني تحقيق محمد جواد القصة ، دار الأضواء بيروت ط١ عام ١٩٩٦م.

١٢-أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره ، د / ربيع بن هادي المدخلي ،

مكتبة الفرقان ، عجمان ، ط٢ ، عام ٢٠٠١م .

١٣-أضواء البيان ، للشنقيطي ، دار إحياء التراث الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، عام ١٤١٧م .

١٤-أضواء على معالم في الطريق ، سالم البهنساوي ، دار البحوث الكويتية ، طبعة عام ١٩٨٦م.

١٥-أفراح الروح ، سيد قطب ،مركز الشرق العربي ، ب، ت.

١٦-أقوال التابعين في مسائل الإيمان والتوحيد . عبد العزيز المبدل . دار التوحيد - الرياض . ط١ عام ١٤٢٤ هـ.

١٧-الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر . د / محمد محمد حسين ،المطبعة النموذجية - القاهرة - ط ٣ - ١٤٠٠هـ.

١٨-الإتقان في علوم القران، لجلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ ، عام ١٤٠٧هـ .

١٩-الإحكام في أصول الأحكام ، لابن حزم ، دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ ، عام ١٤٠٥هـ.

٢٠-الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط٢ عام ١٤٠٢هـ.

٢١-الإخوان المسلمون ، أحداث صنعت التأريخ ، لمحمود عبد الحليم ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، ط عام ١٩٧٩م.

٢٢-الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، زكريا سليمان بيومي ، رسالة في كلية الآداب ، جامعة عين شمس .

٢٣-الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ، لعبد القادر شيبة الحمد ، مطبوعات الجامعة الإسلامية ، المدينة النبوية ، ط١ ، ب. ت.

٢٤-الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، لإمام الحرمين الجويني - مطبعة

السعادة – مصر عام ١٩٥٠م.

٢٥-الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ، دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ ، عام ١٩٩٥م .

٢٦- الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية ، للسيد أبي الأعلى المودودي.

٢٧-الإسلام والخلافة في العصر الحديث : د/ محمد ضياء الدين الريس ب. ت.

٢٨-الاشتراكية العربية . أمين مصطفى وآخرون ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، طبعة عام ١٩٦٠م .

٢٩-الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت ،طبعة ١٤٢١هـ.

٣٠-الاعتصام ، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، دار الفكر – بيروت . ب. ت.

٣١-الإعلام بقواطع الإسلام ، ابن حجر ، دار المعرفة ، بيروت ، طبعة عام ١٤٠٢هـ.

٣٢-الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي.

٣٣-أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب ، د/ صلاح الخالدي ،دار القلم ، دمشق، ط٨ ،١٤٢٣هـ.

٣٤-أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين ، جمعه أمين عبد العزيز ، دار التوزيع ، القاهرة ، ط١ ، عام ٢٠٠٣م .

٣٥-الإيمان لابن تيمية ، المكتب الإسلامي – بيروت – ط٣- ١٤٠٨هـ .

٣٦-إيثار الحق ، لابن الوزير ، دار الكتب العلمية ، بيروت – ط٢ ، عام ١٤٠٧هـ.

٣٧-الإنسان الكامل ، لعبد الكريم الجيلي، مطبعة الحلبي، مصر ، ط ٤ ، ب . ت.

٣٨-الأم للإمام الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، عام ١٤١٢هـ.

٣٩-أصول الحديث لمحمد عجاج الخطيب ، دار المنارة ، جده ، ط٦، ١٤١٤هـ.

٤٠-الأوائل للباقلاني ، مؤسسة الكتب الثقافية -بيروت- ط٣ ، عام ١٤١٤هـ .

٤١-أحكام القرآن للحصياص ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، طبعة عام ١٤١٥هـ.

٤٢-أعلام السُّنَّة المنشورة ، لحافظ الحكمي مكتبة الرشد الرياض ط٤ عام ١٤١٦هـ.

٤٣-أيام من حياتي لزينب الغزالي . دار التوزيع ، القاهرة ،ط١ ،١٤٢٠ هـ.

٤٤-الإسلام ومشكلات الحضارة ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط١٢ ، عام ١٤٢٢هـ .

٤٥-الأعلام ، للزركلي ، دار العلم ، بيروت، ط ١٤ ،١٩٩٩م.

(ب)

٤٦-البداية والنهاية لابن كثير دار المؤيد - الرياض ، ط٢ ،عام ١٤١٧ هـ .

٤٧-البدر الطالع ،للإمام محمد بن علي الشوكاني ،مطبعة السعادة ، بيروت ،ط ١٩٨٤ م.

٤٨-البرهان في أصول الفقه لإمام الحرمين الجويني دار الوفاء المنصورة ط٣ عام ١٤٢٠هـ .

٤٩-البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ، لأبي الفضل السكسكي ، مكتبة المنار الأردن ، ط١ ، عام ١٤٠٨.

٥٠-البوابة السوداء ، لأحمد رائف ، دار الزهراء ، القاهرة ، ط١ ، عام ٨٨م

(ت)

٥١-التاريخ الإسلامي ، لمحمود شاكر ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١، عام ١٤١١هـ.

٥٢-تأويل الدعائم للقاضي نعمان بن محمد الإسماعيلي ، تحقيق الأعظمي ، دار

المعارف مصر ، ب.ت.

٥٣-تاريخ الدعوة الإسلامية ، أنور الجندي ، دار القافلة ، السعودية ، طبعة عام ٩٧م .

٥٤-تاريخ النضال بين الاستقلال والاحتلال : أنور الجندي ، دار الطباعة ، القاهرة، طبعة عام ١٩٤٧م.

٥٥-تاريخ مصر الاقتصادي . أمين مصطفى عفيفي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٣، عام ٥٤م.

٥٦-تاريخ مصر السياسي . أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ب.ت.

٥٧-تاريخ مصر السياسي : أمين سعيد ، دار إحياء الكتب العلمية ، القاهرة ، طبعة عام ١٩٦٧م .

٥٨-تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ .

٥٩-تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت،طبعة عام ١٣٧٤هـ.

٦٠-تعظيم قدر الصلاة لمجد بن نصر المروزي ، مكتبة الدار - المدينة - ط١ ، عام ١٤٠٦هـ.

٦١-تفسير ابن كثير ، تحقيق د/ البناء ، دار بن حزم ، بيروت ، ط١ ، عام ١٤١٩م.

٦٢-تفسير الرازي (التفسير الكبير)(المسمى: مفاتيح الغيب)لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام ١٤١١هـ .

٦٣-تفسير الطبري المسمى جامع البيان ، للإمام محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، عام ١٩٩٢.

٦٤-تفسير البغوي،المسمى بصالح التنزيل، دار الهيثم ، الرياض،ط٣ ،عام ١٩٩٥.

٦٥-تفسير المنار ، لرشيد رضا دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط١ عام

١٤٢٣هـ.

٦٦-تفسير بن كثير ، تحقيق : مصطفى السيد وآخرون ، مكتبة أولاد الشيخ - القاهرة ط١ عام ١٤٢١ هـ.

٦٧-تفسير جزء عم لمحمد عبده ، مطبعة مجلة المنار القاهرة - ط٢ ، عام ١٣٢٩هـ.

٦٨-تكملة معجم المؤلفين ، محمد خير رمضان ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط ١ ، عام ١٤١٨هـ.

٦٩-تهذيب اللغة للأزهري ، مطبعة البابي الحلبي - القاهرة - ط٢ ، عام ١٣٨٩هـ.

٧٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي دار الذخائر الرياض طبعة عام ١٩٩٤م.

٧١-التصوير الفني في القرآن - سيد قطب ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٩ ، ١٩٨٠م.

٧٢-تطهير الاعتقاد للإمام الصنعاني تحقيق / حلاق ، دار الهجرة ، صنعاء ، ط١ عام ١٤١١هـ.

٧٣-التعريفات للجرجاني ، دار الريان ، القاهرة ، ب. ت.

٧٤-التمهيد ، لابن عبد البر ، تحقيق أسامة إبراهيم ، دار الفاروق ، القاهرة ، ط١ عام ١٤٢٠ هـ.

٧٥-التمهيد لقواعد التوحيد ، لمحمود بن زيد اللامشي الماتريدي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م .

٧٦- التوحيد لابن خزيمة.تحقيق د / عبد العزيز الشهوان دار الرشد ، ط١ ، ١٤٠٨هـ.

٧٧- التوحيد لابن منده ، تحقيق د/ علي الفقيهي مكتبة العلوم والحكم - المدينة

ط١ عام ١٤٢٣هـ .

(ث)

٧٨-الثورة العرابية ، عبد الرحمن الرافعي ، بيروت ، دار نشر ، ط٣ ، عام ١٩٦٦م

٧٩-الثورة والتنظيم السياسي، جلال يحيى ، دار المعارف ، القاهرة ، طبعة عام ١٩٦٦م

(ج)

٨٠-الجامع لشعب الإيمان ، الحافظ أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي ، الدار السلفية، الهند ، ط١ عام١٤٠٦هـ

٨١- الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسُّنَّة ، تأليف / سليم الهلالي ، دار البصيرة الإسكندرية ، ب . ت

٨٢-جامع العلوم والحكم لابن رجب ،تحقيق الارناؤوط ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط٧ ،عام ٢٠٠٢م

٨٣-جمع الجوامع ، للسبكي ، مطبعة الحلبي – القاهرة – ط٢ – ب . ت

٨٤- جمهرة اللغة لابن دريد ، دار العلم للملايين – بيروت– ط ٢، عام ١٩٨٧م.

٨٥-جهود علماء الحنفية في العقيدة، لشمس الدين الأفغاني، دار الصميعي، الرياض، ط١ ،١٤١٦ هـ

٨٦-جواهر المعاني في فيض أبي العباس التيجاني ، لعلي بن حرازم الفارسي ، دار الجيل ، بيروت ، طبعة عام ١٤٠٨هـ

(ح)

٨٧-الحاكمية في الفكر الإسلامي د. حسن لحساسنه ، كتاب الأمة ، قطر ، العدد ١٢٨، سنة ١٤٢٨هـ.

٨٨- الحد الفاصل د/ ربيع المدخلي مكتبة الفرقان عجمان ، ط٣ عام ١٤٢٢هـ .

٨٩-الحدود ، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي ، مؤسسة الزغبي ، حمص ، ط١، عام ١٣٩٢هـ

٩٠-الحدود لابن سيناء ، تحقيق أميليه حواشن - منشورات المعهد الفرنسي -القاهرة ، ب . ت .

٩١-الحركة الإسلامية ، مجموعة من الباحثين ، تحرير د / عبد الله النفيسي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ب.ت.

٩٢-حكم الجاهلية لأحمد شاكر ، مكتبة السُّنَّة - القاهرة ط١عام ١٤١٢ هـ.

٩٣-حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ، دار الكتب العلمية - بيروت ط١ عام ١٤٠٨ هـ .

٩٤-حين غابت الشمس ، لعبد المنعم خفاجي ، دار الوفاء ، القاهرة ،ب .ت

(خ)

٩٥-خصائص التصور الإسلامي ، سيد قطب - دار الشروق - ط١٥ - ٢٠٠٢

٩٦-خلق أفعال العباد للبخاري الدار السلفية الكويت ط عام ١٤٠٥هـ

(د)

٩٧-الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني دار الكتب العلمية ب.ت.

٩٨-الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، جمع عبد الرحمن النجدي ،ط٦ ، ب.ت ، عام ١٤١٩هـ.

٩٩-الدلالة العقلية في القرآن ومكانها في تقرير العقيدة . د/ عبد الكريم عبيدات، دار النفائس . الأردن.ط١، ١٤٢٠ هـ.

١٠٠-درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام بن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض ،عام ١٣٩٩هـ .

١٠١-دراسات إسلامية ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط٨ ، عام

١٤١٢هـ.

١٠٢-دراسات في السيرة لمحمد سرور زين العابدين ، دار الأرقم ، بريطانيا ، ط٥، عام ١٤١٤هـ .

١٠٣-دراسات في الفرق والعقائد ، د / عرفان عبد الحميد، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، عام ١٤٠٤ هـ.

١٠٤-دراسات في حضارة الإسلام . هاملتون جب ، ترجمة د / إحسان عباس وآخرون ، دار العلم ، بيروت ، ب .ت.

١٠٥- دعاة لا قضاة، للهضيبي.

١٠٦-دعوة التقريب بين الأديان ، د / أحمد القاضي ، دار بن الجوزي ، الدمام ، ط١ ، عام ١٤٢٢هـ.

١٠٧-دعوة التوحيد لمحمد خليل هراس مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، عام ١٤٠٧هـ.

١٠٨-دلائل الإمامة لأبى جعفر الطبري الشيعي المطبعة الحيدرية النجف طبعة عام ١٣٦٩هـ .

١٠٩- دلائل التوحيد ، لمحمد جمال الدين القاسمي ، دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤٠٥.

١١٠-دلائل النبوة ، البيهقي ، دار الكتب العلمية - بيروت - ط٢ عام ١٤٢٣هـ

١١١- ديوان المتنبي ، دار صادر بيروت ط٢١ عام ١٩٨٥م.

١١٢-ديوان سيد قطب: جمع عبد الباقي محمد حسن ، دار الوفاء ، ط٣ ، عام ١٤١٨هـ.

١١٣-الدين الخالص،لمحمد صديق خان،وزارة الأوقاف،قطر،ط١،عام ١٤٢٨هـ.

(ذ)

١١٤- ذكريات لا مذكرات ، عمر التلمساني ، دار الطباعة الإسلامية ، القاهرة ،

طبعة عام ١٩٨٥م.

(ر)

١١٥-الرد على الجهمية للدارمي الدار السلفية الكويت ط١ عام ١٤٠٥هـ .

١١٦-الرسالة ، للإمام محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق أحمد شاكر - المكتبة العلمية - بيروت - ب .ت.

١١٧-الرسالة الذهبية للشيخ / بكر أبو زيد .

١١٨- الرسالة القشيرية ، لأبى القاسم القشيري ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ب.ت.

١١٩-روضة المحبين لابن القيم،دار الكتاب العربي، بيروت ، ط١، عام ١٤١٤هـ.

١٢٠-رائد الفكر الإسلامي ، الشهيد سيد قطب ، ليوسف العظم ، دار القلم ، دمشق ، طبعة عام ١٩٨٠م.

١٢١-رد الدارمي على بشر المريسي، تحقيق :الفقي طبعة باكستان ،عام ١٤٠٢هـ.

١٢٢-رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، لابن تيمية ، دار البصيرة - الإسكندرية - ط١ ، عام ١٤٢٩هـ

١٢٣-روضة التعريف بالحب الشريف ،للسان الدين الخطيب ، دار الفكر ص ٤٩٧، بيروت، د.ت .

١٢٤-روضة الناظر لابن قدامه المقدسي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط١ ، عام ١٤٠١هـ.

(ز)

١٢٥- زاد المعاد لابن القيم مؤسسة الرسالة بيروت ط٣٠ عام ١٤١٧هـ.

١٢٦-

(س)

١٢٧-السحر بين الحقيقة والخيال ، أحمد الحمد ، مكتبة التراث ، مكة ، ط١ ، عام

١٤٠٨هـ.

١٢٨-السلام العالمي في الإسلام،سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٢ ، عام ١٩٩٢م.

١٢٩- السُّنَّة لابن أبي عاصم، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت،ط٣ عام١٤١٣هـ.

١٣٠-السُّنَّة ومكانتها في التشريع، د/ مصطفى السباعي- المكتب الإسلامي - بيروت - ط٢ عام ١٣٩٨هـ.

١٣١- السيرة النبوية لابن هشام دار التراث العربي القاهرة ، ب.ت.

١٣٢-سلسلة أعلام المسلمين سيد قطب للخالدي ، دار القلم ، بيروت ، ط٢ ، عام٢٠٠٠م .

١٣٣-سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ، دار المعارف ،الرياض ،ط ١ ، عام ١٤١٥هـ.

١٣٤-سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ، مكتبة المعارف - الرياض ط٥ ، ١٤٠٨ هـ.

١٣٥-سنن ابن ماجة للحافظ محمد بن يزيد القزويني ، دار المعرفة بيروت ط١ عام ١٤١٩ هـ.

١٣٦-سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ب.ت

١٣٧-سنن النسائي ، دار المعرفة ، بيروت ، ب. ت.

١٣٨-سيد قطب . خلاصة حياته ومنهجه في الحركة . محمد توفيق بركات ، دار الدعوة ، بيروت ، ب . ت.

١٣٩-سيد قطب الأديب الناقد . د / عبد الله الخباص ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، ط١ عام ٨٣ .

١٤٠-سيد قطب أو ثورة الفكر الإسلامي) لمحمد علي قطب ، دار الحديث ،

بيروت ، ط٢ ، ب .ت.

١٤١-سيد قطب بين العاطفة والموضوعية ، لسالم البهنساوي.

١٤٢-سيد قطب حياته وأدبه ، لعبد الباقي محمد حسين ،دار الوفاء ، المنصورة ، ط٢ ، عام ١٩٩٣م.

١٤٣-سيد قطب من القرية إلى المشنقة . عادل حمودة ، دار سيناء للنشر ، القاهرة ، ط١ ، عام ١٩٨٧م.

١٤٤-سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد . د / صلاح الخالدي ، دار القلم ، دمشق ، ط٣ ، عام ١٤٢٠هـ.

١٤٥-سيد قطب ومنهجه في التفسير ، إسماعيل أمين الحاج ب.ت.

١٤٦-سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، عام ١٤٠٧م .

-١٤٧

(ش)

١٤٨-الشرك بالله تعالى ، أنواعه وأحكامه ، ماجد محمد شباله ، دار الإيمان ، الإسكندرية ، ط١ ، عام ٢٠٠٥م.

١٤٩-شريط بعنوان : (رأي معتدل في سيد قطب ، للشيخ الألباني في ١٨/ ٩/ ١٩٩٣م).

١٥٠-شريط بعنوان : (المنهج الصحيح لاستئناف الحياة الإسلامية ، لشيخ الألباني في ١٤/ ١١/ ١٩٩٢م) .

١٥١-شريط بعنوان : (مفاهيم يجب أن تصحح ،للشيخ الألباني).

١٥٢-الشفا في تعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض اليحصبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ب .ت.

١٥٣-الشهيد سيد قطب، إعداد جماعة أصدقاء الشهيد ، بدون ناشر أو تاريخ .

١٥٤- الشورى في ظل الحكم الإسلامي - عبد الرحمن عبد الخالق - الدار السلفية الكويت ط عام ١٩٧١م.

١٥٥-الشوكاني وسيد قطب ، الأبعاد الحضارية ، د/ حسن ناصر سرار ، إصدار وزارة الثقافة ، صنعاء ، ط١ عام ٢٠٠٤.

١٥٦-شيخ العربية : محمود شاكر ،لإبراهيم الرضواني ، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط١٤١٥ هـ.

١٥٧-شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ب. ت

١٥٨-شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة لأبي القاسم اللالكائي دار طيبة - الرياض ، ط٦ عام ١٤٢٠ هـ .

١٥٩-شرح الأسماء الحسنى ،لمحمد بن عمر الرازي ،مكتبة الكليات الأزهرية طبعة عام ١٩٧٦ .

١٦٠-شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي ، تحقيق د/ عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة - القاهرة - ط١ عام ١٣٨٤هـ.

١٦١-شرح التلويح للتفتازاني ، دار الكتب العربية - مصر - ب . ت.

١٦٢-شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ب.ت.

١٦٣-شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، تحقيق / التركي والأرناؤوط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٣هـ.

١٦٤-شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ، دار ابن الجوزي - الرياض - ط٤ عام ١٤٢٤ هـ .

١٦٥-شرح ألفية السيوطي ، لأحمد شاكر ، دار المعرفة -بيروت - ب . ت.

١٦٦-شرح الكبرى للسنوسي ، المكتبة المصرية ، ب.ت،ص ٥٠٢ .

١٦٧-شرح الكوكب المنير، لابن النجار ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٨هـ.

١٦٨-شرح المسلم ، للملوي ، بهامش حاشية الصبان . مطبعة مصطفى الحلبي - مصر - ط٢ - عام ١٣٥٧هـ .

١٦٩-شرح المقاصد للنفتازاني ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٢ ، عام ١٤١٩هـ.

١٧٠- شرح صحيح مسلم للإمام النووي دار المعرفة - بيروت ، ط٣ عام ١٤١٧ هـ .

١٧١-شرح نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني مع حاشية بن قطلوبغا ، دار الوطن - الرياض - ط١ ، عام ١٤٢٠هـ.

١٧٢-شريط لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، درس في منزله عام ١٤١٣، تسجيلات منهاج السُّنَّة - الرياض.

١٧٣-شعراء الدعوة الإسلامية ،لأحمد الجدع وحسني جرار ،مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٩٧٨م.

١٧٤-شفاء العليل ، لابن القيم ، دار الكتاب العربي - بيروت - ط١ ، عام ١٤٢٤هـ.

(ص)

١٧٥-الصحاح ، لإسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين- بيروت - ط٢ ،عام ١٣٩٩هـ.

١٧٦-الصفات الإلهية، لمحمد أمان الجامي ، طبعة الجامعة الإسلامية - بالمدينة النبوية - ط١ ، عام ١٤٠٨ .

١٧٧-الصلة بين العقيدة الحاكمية عند سيد قطب . د/ عبد العزيز الوهيبي ، دار المسلم ، الرياض ، ط٢ ، عام ١٤٢٥هـ.

١٧٨-الصواعق المرسلة ، لابن القيم ، دار العاصمة ، الرياض ، ط٣، ١٤١٨هـ.

١٧٩- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، تحقيق، د.علي الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط٣ عام ١٤١٨هـ.

١٨٠-صحيح الإمام البخاري ،محمد بن اسماعيل البخاري ، دار ابن كثير - بيروت - ط٥ ، عام ١٤١٤هـ.

١٨١- صحيح السيرة النبوية للالباني- المكتبة الإسلامية عمان ط ١ عام ١٤٢١هـ.

١٨٢-صحيح سنن ابن ماجة ، الألباني ، مكتبة المعارف - الرياض ط١ عام ١٤١٧هـ.

١٨٣-صحيح سنن أبي داود للألباني ، مكتبة المعارف الرياض ، ط٢ ، ١٤٢١هـ

١٨٤-صحيح مسلم ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١ ، عام ١٤١٦هـ .

١٨٥-صفحات من التاريخ ، لصلاح شادي، دار الشعاع، الكويت، ط ١ ،عام ١٩٨١م .

(ض)

١٨٦-ضعيف الترغيب والترهيب ، للألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ عام ١٤٢١هـ.

١٨٧-ضوء المعاني في شرح بدء المعالي ، للملأ علي القاري ، دار السعادة ، تركيا ب.ت.

١٨٨- ضوابط التكفير ، راشد الراشد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، طبعة عام ١٤٢٧هـ.

(ط)

١٨٩-الطبراني في الكبير ، مطبعة الزهراء العراق ط٢ عام ١٤٠٥ هـ.

١٩٠-الطريق نحو حكم إسلامي ، محمد علي ضناوي ، دار الإيمان ، طرابلس ، ب . ت.

١٩١-طبقات الحفاظ للسيوطي ، دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - عام ١٤٠٣هـ.

١٩٢- طريق الهجرتين، لابن القيم المطبعة السلفية القاهرة طبعة عام ١٣٧٥هـ.

١٩٣-طفل من القرية، سيد قطب، الدار السعودية للنشر، جدة، ب. ت .

١٩٤-

(ظ)

١٩٥-ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ، د/ سفر بن عبدالرحمن الحوالي ، دارالكلمة ، هولندا ، ط١ ، ١٤٢٠هـ .

١٩٦-الظلم وأثره السيء على الفرد والمجتمع ، لمحمد عبدالله الحكمي ، دار المجتمع جده ، ط٢ ، ١٤١٥هـ .

(ع)

١٩٧-العالم الرباني الشهيد سيد قطب ، لعشماوي أحمد سليمان ، ب. د ، طبعة عام ١٩٦٩م.

١٩٨- العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الفضيلة، الرياض، ط١، عام ١٤٢٠هـ.

١٩٩-العدالة الاجتماعية - سيد قطب - دار الشروق ، بيروت ، طبعة عام ١٤١٥هـ .

٢٠٠-العدة في أصول الفقه، للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء ، تحقيق د / أحمد المباركي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط١ عام ١٤٠٠هـ.

٢٠١-العقيدة بين السلف والمتكلمين ، أ .د / حسن شباله ، دار الإيمان ، الإسكندرية ، ط١ ، عام ، ٢٠٠٤م.

٢٠٢-العلمانية ،د / سفر الحوالي ، مكتبة الطيب ،القاهرة ،ط١ ،١٤١٨هـ.

٢٠٣-العلمانية وثمارها الخبيثة لمحمد شاكر الشريف ، دار الرياض للنشر ، ب. ت .

٢٠٤-العواصم ما في كتب سيد قطب من القواصم ، د/ ربيع المدخلي ، دار

الفرقان، عجمان، ط٢ ، عام١٤٢١هـ.

٢٠٥-عالم السحر والشعوذة ، د/ عمر الأشقر ، دار النفائس - الأردن ، ط٢ ، عام ١٤١٨هـ.

٢٠٦-عبد الناصر وعلاقاته الخفية ، أحمد عبد المجيد ، دار الزهراء ، القاهرة ، ط ١ ،١٤١٥هـ .

٢٠٧-عبقري الإسلام ، سيد قطب ، د . سيد بشير كشميري ، دار الفضيلة ، القاهرة ، ب . ت.

٢٠٨-عصر محمد علي باشا ، عبد الرحمن الرافعي ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ط٣، عام ١٩٥١م .

٢٠٩-عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني تحقيق د/ الجديع دار العاصمة الرياض ط ٢عام ١٤١٩هـ .

٢١٠-العلم يدعو إلى الإيمان ، كريس موريسون ، ترجمة : محمود صالح ، مؤسسة فرانكلين ، القاهرة ، ط٥ ، عام ١٩٦٥م .

٢١١-علم الإعجاز القرآني : د/ خليل رجب الكبيسي ، مركز عبادي ، صنعاء ، ط ١ عام ١٤٢٢هـ.

٢١٢- علماء نجد خلال ستة قرون لعبد الرحمن البسام مكتبة مكة ط١ عام ١٣٩٨هـ.

٢١٣-علماء ومفكرون عرفتهم ، لمحمد المجذوب، دار الشواف ، الرياض ، ط ٤، عام ١٩٩٢م.

٢١٤-عملاق الفكر الإسلامي ، سيد قطب ، للشهيد عبد الله عزام - رحمه الله - مركز شهيد عزام ، بيشاور ، ط١ ، ب. ت.

٢١٥-عوامل تقهقر الأمة المسلمة ، د/ سليم القباطي ، مكتبة الجيل، صنعاء ، ط١، عام ١٩٩٧م.

(غ)

٢١٦-الغاية القصوى في ولاية الفتوى ، للعلامة البيضاوي ، تحقيق : قرة داغي ، دار الإصلاح ، الدمام ، ط١ ، ١٤٠١هـ .

٢١٧-غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى ، لمرعى الكرمي ، المؤسسة السعيدية ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٠١هـ .

٢١٨-الغنية لطالبي طريق الحق ، لعبدالقادر الجيلاني ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ط١٩٥٦،٣م .

(ف)

٢١٩-فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية ، ترتيب أحمد الدويش ، دار العاصمة ، الرياض ، ط٣ ، ١٤١٩هـ .

٢٢٠-الفطرة ، حقيقتها ومذاهب الناس فيها ، علي بن عبد الله القرني ، دار المسلم الرياض ، ط١ عام ١٤١٤هـ.

٢٢١-فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم مطبعة الحكومة مكة المكرمة .ط١ عام ١٣٩٩ هـ.

٢٢٢-فتح الباري لابن حجر ، دار الفكر - بيروت طبعة عام ١٤١١هـ.

٢٢٣- فتح القدير للشوكاني المكتبة العلمية - بيروت - ط عام ١٤١٥هـ.

٢٢٤-فتح المغيث للسخاوي ، دار الكتب العلمية - بيروت - طبعة عام ١٤٢١هـ.

٢٢٥-الفروق لأبي هلال العسكري ، دار الآفاق ، بيروت ، ط٥ ، عام ١٤٠٣هـ

٢٢٦-فصوص الحكم لابن عربي ، تحقيق د / أبي العلا عفيفي ، دار الكتاب العربي، بيروت، ب ،ت .

٢٢٧-الفقه الميسر لأحمد عاشور ، دار ال.يوسف ، بيروت ، ب.ت.

٢٢٨-فكر سيد قطب ، لمحمد أبو صعيليك ، الدار الشامية ، عمان ، ط١ ، عام ١٤٢٠هـ.

٢٢٩-في أعقاب الثورة المصرية : عبد الرحمن الرافعي ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ط٢ ، عام ١٩٥٩م.

٢٣٠-في التاريخ فكرة ومنهاج - سيد قطب - دار الشروق ، القاهرة ، ط٨ ، عام ١٤٢٢هـ.

٢٣١-في ظلال القرآن - سيد قطب . دار الشروق ، القاهرة ، بيروت ، ط٣٠ ، عام ٢٠٠١م.

٢٣٢-في ظلال القرآن رؤية استشراقية فرنسية : تأليف أوليفيه كاريه ، ترجمة / محمد رضا حجاج ، دار الزهري ، القاهرة ، ط١ ، عام ١٤١٣هـ.

٢٣٣-في ظلال القرآن في الميزان ، د/ صلاح الخالدي ، دار عمار الأردن ، ط٢ عام ١٤٢١هـ.

(ق)

٢٣٤-القاموس المحيط ، للفيروز أبادي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط٥ ، عام١٤١٦هـ .

٢٣٥- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسُّنَّة ، د/ عبد الرحمن المحمود ، الدار الدولي - الرياض- ط١ ، ١٤١٤هـ.

٢٣٦-القواعد الفقهية ، لابن رجب الحنبلي . دار المعرفة ،بيروت ، ب. ت.

٢٣٧-الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي.

٢٣٨-قصة الأدب المصري ، عبد المنعم خفاجي ، المطبعة اللندنية ، ط١ ، عام ١٩٥٦م.

٢٣٩-قواعد التكفير ، عبد المنعم حليمه ، دار البشير ، الأردن ، ط١ ، عام ١٤١٥هـ.

٢٤٠-قوانين حكم الإشراق للشاذلي ، الكليات الأزهرية - القاهرة - ١٣٨٠هـ

٢٤١-القول السديد للسعدي ، طبعة الجامعة الإسلامية ، المدينة عام ، ١٤٠٤هـ

-٢٤٢

(ك)

٢٤٣-الكشاف للزمخشري دار إحياء التراث العربي بيروت ط١ عام ١٤١٧هـ .

(ل)

٢٤٤-الله ، لعباس العقاد ، دار الهلال ، القاهرة ، ب . ت .

٢٤٥-لسان العرب لابن منظور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، عام ١٤١٣هـ.

٢٤٦-لسان الميزان لابن حجر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، عام ١٩٩٦م.

٢٤٧-لماذا أعدموني - سيد قطب - بدون دار النشر ولا تاريخ.

٢٤٨-لوامع الأنوار البهية للسفاريني مؤسسة الخافقين، دمشق ط٢ عام ١٤٠٢هـ.

(م)

٢٤٩-المحصول للرازي، تحقيق د/ جابر العلواني،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، عام ١٤١١هـ .

٢٥٠- المدخل لدراسة العقيدة، د. إبراهيم البريكان، دار ابن عفان، الرياض، ط٥، عام ١٤١٨هـ.

٢٥١-المستدرك على الصحيحين ، للحاكم النيسابوري ، دار الكتب العلمية، بيروت، ب. ت.

٢٥٢- المستصفى في علم الأصول لأبي حامد الغزالي دار الأرقم الكويت ط٣ عام ١٤٢٠هـ .

٢٥٣-المستقبل لهذا الدين - سيد قطب - دار الشروق ، القاهرة ، ط١٦ ، عام ١٤٢٥هـ.

٢٥٤-المسودة في أصول الفقه لآل تيمية ، تحقيق د/ أحمد الدوري ، دار الفضيلة ،

الرياض ، ط ١٤٢٢هـ.

٢٥٥- المصطلحات الأربعة لأبي الأعلى المودودي، دار الفكر، الكويت،ط١، عام ١٤٠١هـ.

٢٥٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي - دار الحديث - القاهرة طبعة ١٤٢٢هـ .

٢٥٧-المعجم الوسيط ، د / إبراهيم أنيس وآخرون ، دار الفكر -بيروت ، ط٢ ، ب . ت.

٢٥٨- المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية ، طبعة المكتبة الإسلامية، تركيا، ب.ت.

٢٥٩-المفردات من غريب القرآن للراغب الأصفهاني، دار القلم ، بيروت ،ط٢ ١٩٩٧ م .

٢٦٠-المفسرون بين التأويل والإثبات للشيخ / محمد بن عبد الرحمن المغراوي ، مؤسسة الرسالة - بيروت- ط١ -١٤٢٠هـ،.

٢٦١-الملل والنحل للشهرستاني، مكتبة الانجلومصرية، القاهرة ، ط٢ ،ب .ت.

٢٦٢-المنهج الحركي في ظلال القرآن ، د / صلاح الخالدي دار عمار الأردن ط٢، عام ١٤٢١هـ.

٢٦٣-ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبي الحسن الندوي،دار الكتاب العربي، بيروت ، ط٦ ، عام ١٩٦٥م.

٢٦٤-مباحث علوم القرآن، لمناع القطان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ٨.

٢٦٥-متن الأوطار للإمام الشوكاني ، دار الجيل ، طبعة عام ١٩٧٣م .

٢٦٦-مجموع رسائل ومقالات الشيخ عبد الله بن قعود ،جمع : عبد الله آل مهنا ، دار طيبة الخضراء ، مكة ، ط٢، عام ١٤٢٧ هـ.

٢٦٧-مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع عبد الرحمن النجدي ، طبعة

عام ١٤١٨هـ.

٢٦٨-مجموع فتاوى ورسائل الشيخ : محمد بن إبراهيم ، مطبعة الحكومة ، مكة ، ط١ ، عام ١٣٩٩هـ .

٢٦٩-محمد حسين ،دار الوفاء ، المنصورة ، ط٢ ، عام ١٩٩٣م .

٢٧٠-مختار الصحاح لأبي بكر الرازي ، دار الفكر، بيروت، عام ١٤٠١هـ.

٢٧١-مختصر الصواعق المرسلة . للموصلي ، دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - عام ١٤٠٥هـ.

٢٧٢-مختصر العلو للعلي الغفار ، للشيخ الألباني ،المكتب الإسلامي ،بيروت ، ط١، عام ١٤٠١ .

٢٧٣-مدارج السالكين لابن القيم دار الكتاب العربي ط٣عام ١٤١٦هـ .

٢٧٤-مدخل إلى ظلال القرآن ، د / صلاح الخالدي ، دار عمار ،الأردن ،ط٢ ، عام١٤٢١هـ .

٢٧٥-مذابح الإخوان في سجون ناصر ، لجابر رزق ، دار الوفاء ، القاهرة ، ط١٩٨٦م .

٢٧٦-مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٢٧٧-مذكرات سائح في الشرق الإسلامي، لأبي الحسن الندوي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط٢ ، عام ١٩٧٥م.

٢٧٨-مذكرة في أصول الفقه للشيخ / محمد الأمين الشنقيطي ، دار القلم - بيروت - طبعة ١٣٩١هـ.

٢٧٩-مراتب الإجماع لابن حزم دار أبن حزم بيروت - ط١ عام ١٤١٩هـ .

٢٨٠-مسند الإمام أحمد ، للمصنف الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١، عام ١٤٢٠هـ.

٢٨١-مشاهد القيامة في القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط١٥، عام

٢٠٠٤م.

٢٨٢-مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي ، تحقيق الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ.

٢٨٣-مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ربيع ، الدكتور/ المدخلي.

٢٨٤-مع سيد قطب في فكره السياسي والديني ، د/ مهدي فضل الله . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، عام ١٩٧٨م.

٢٨٥- معارج القبول للحكمي دار ابن القيم - الدمام ط٣ عام ١٤١٥هـ.

٢٨٦-معالم في الطريق - سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط١٥ ، عام١٩٩٦م.

٢٨٧-معتقد أهل السُّنَّة والجماعة ، لمحمد بن خليفة التميمي ، دار الحريري - القاهرة ، ب.ت.

٢٨٨-معجم ألفاظ القران - مجمع اللغة العربية - القاهرة طبعة ١٤٠٩هـ.

٢٨٩-معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث، بيروت، ب.ت .

٢٩٠-معجم مقاييس اللغة لابن فارس - دار الجيل - بيروت ب.ت.

٢٩١-معركة الإسلام والرأسمالية- سيد قطب - دار الشروق - القاهرة ، ط١٣، عام ١٤١٤هـ.

٢٩٢-معركة السفور والحجاب ، لمحمد أحمد إسماعيل المقدم ، دار طيبة الرياض، ط ٣ ، عام ١٩٠٨م.

٢٩٣-معركتنا مع اليهود سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ط١ ٢٠٠١،١٤م.

٢٩٤-المغني لابن قدامة تحقيق د/ التركي ، دار هجر ، القاهرة ، ط٢ ، عام ١٤١٨هـ.

٢٩٥- مفتاح دار السعادة لابن القيم، دار ابن عفان، الرياض، ط١، عام ١٤١٦هـ.

٢٩٦-مقالات الاسلاميين ، لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق / محمد محي الدين ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ط٢ ، عام ١٣٨٩هـ.

٢٩٧-مقدمة ابن خلدون ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ب.ت .

٢٩٨-مقدمة مجموع فتاوى ابن عثيمين.

٢٩٩-مقومات التصور الإسلامي ،سيد قطب ،دار الشروق ،بيروت ،ط ٥، ١٩٩٧م.

٣٠٠-من أعلام الحركة الإسلامية ،للمستشار عبد الله العقيل، دار التوزيع، القاهرة ، طبعة عام ٢٠٠٠م .

٣٠١-من أعلام المسلمين سيد قطب ، د / صلاح الخالدي ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، عام ٢٠٠٠م.

٣٠٢-منازل السائرين ، لأبي إسماعيل الهروي ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر -ط٢- ب.ت.

٣٠٣-مناهج الأدلة في عقائد الملة ، لابن رشد ، تحقيق د/ محمد قاسم . ط٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ب.ت.

٣٠٤-مناهل العرفان ، للزرقاني ، دار الفكر - بيروت ، ط عام ١٤٠٨هـ.

٣٠٥-منهاج السُّنَّة لابن تيمية، تحقيق/ محمد رشاد سالم، جامعة الإمام، الرياض، ط١، عام ١٤٠٦هـ.

٣٠٦-منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السُّنَّة، لعثمان بن علي حسن، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط٤ - ١٤١٨هـ .

٣٠٧- منهج الإمام الخطابي في العقيدة للحسن بن عبد الرحمن العلوي ، دار الوطن - الرياض - ط(١)- ١٤١٨هـ.

٣٠٨-منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل للدكتور / محمد السحيباني ، دار

الوطن ، الرياض ، ط١ ، عام ١٤١٧هـ.

٣٠٩-منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ، لتامر محمد متولي ، دار ماجد عسيري ، جدة ،ط١ ، عام ١٤٢٥هـ.

٣١٠-منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات" للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، طبعة الجامعة الإسلامية عام ١٤٠١هـ.

٣١١-مهمة الشاعر في الحياة ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ب . ت.

٣١٢- الموافقات للإمام الشاطبي دار الكتب العلمية بيروت ب.ت.

٣١٣- المواقف في علم الكلام ، عبد الرحمن الإيجي، دار عالم الكتب- بيروت، ب.ت.

٣١٤- الموتى يتكلمون ، سامي جوهر ، المكتب المصري الحديث ،القاهرة ، ط٢ ، عام ١٩٧٧م.

٣١٥-المورد العذب الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال ، للشيخ / عبد الله بن محمد الدويش ، دار العليان ، بريده ، ط١ ، عام ١٤١١هـ.

٣١٦- موسوعة الإجماع لسعدي أبوجبيب.

٣١٧-موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة ، مجموع مؤلفين ، مكتبة المعارف - الرياض ،ط١ عام ١٤١٩ هـ.

٣١٨-موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، د/ أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٥ ، عام ١٩٩٢م ،.

٣١٩-الموسوعة الميسرة في الأديان المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ، ط٣ ، عام ١٤١٨هـ.

٣٢٠-الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ، ط١ ، عام ١٤١٦هـ.

٣٢١-موسوعة تاريخ مصر . لأحمد حسين ، دار الشعب ، القاهرة ، ب .ت.

٣٢٢-موقع الإسلام الذهبي.

٣٢٣-موقع الإسلام اليوم .

٣٢٤-موقع ابن جبرين على الانترنت.

٣٢٥-موقف البشر تحت سلطان القدر ، لمصطفى صبري ، المطبعة السلفية - القاهرة - ط١ - ١٣٥٢هـ.

٣٢٦-موقف العقل والعلم من رب العالمين . لمصطفى صبري ، دار إحياء التراث - بيروت، ب.ت .

٣٢٧-ميلاد ثورة ،محمد عودة ،دار الجمهورية ، القاهرة ،طبعة عام ١٩٧١م.

(ن)

٣٢٨-النبوات لابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط عام ١٩٨٢م .

٣٢٩-النبوة و الأنبياء ، محمد بن علي مكتبة الغزالي ، طبعة عام ١٤٠٠هـ.

٣٣٠-النجوم الزاهرة ، لابن تغري بردي ، دار الكتب ،بيروت ،ب-ت.

٣٣١-النحو الوافي ، لعباس حسن : دار المعارف - مصر - ط ٤ ب.ت.

٣٣٢-نحو مجتمع إسلامي - سيد قطب - دار الشروق - بيروت طبعة عام ١٤١٥هـ.

(هـ)

٣٣٣-هدي الساري مقدمة فتح الباري ، لابن حجر، دار الفكر، بيروت، ط عام ١٤١١هـ.

٣٣٤-هذا الدين لسيد قطب ، دار الشروق ، بيروت، ط٧ ، عام ١٤٠٢هـ.

(و)

٣٣٥-واقعنا المعاصر . محمد قطب ، مؤسسة المدينة ، جدة ، ط٣ ، عام ١٩٩٠م .

٣٣٦-وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة للشيخ / محمد ناصر الدين الألباني ، المكتبة الإسلامية ، عمان ، ط٢ ، عام ١٤٢٢هـ.

٣٣٧- الوحي المحمدي ، لمحمد رشيد رضا ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٩ عام ١٣٩٩ .

٣٣٨-وفيات الأعيان لأبن خلكان ، دار صادر ، بيروت ، ب .ت.

٣٣٩-واقعنا المعاصر . محمد قطب ، مؤسسة المدينة ، جدة ، ط٣ ، عام ١٩٩٠م.

(ي)

٣٤٠-اليوم الأخر في القرآن والسُّنَّة د/ عبد المحسن المطيري- دار البشائر – لبنان – ط٢-عام ١٤٢٧هـ.

٣٤١- اليوم الأخر في ظلال القرآن – احمد فائز – مؤسسة الرسالة ، ط٢٨ عام ١٤١٨هـ.

ثالثاً: المجلات :

٣٤٢-مجلة (كلمة الحق) السُّنَّة الأولى – العدد الثاني – مايو ١٩٦٧م.

٣٤٣-مجلة الدعوة ، العدد ١٥٩١ ، بتاريخ ٩/ ١/ ١٤١٨هـ .

٣٤٤-مجلة الرسالة ، العدد ٣٩٤ لسنة ١٩٤١م.

٣٤٥-مجلة الرسالة ، ج١ ، العدد ٦٥٣ ، سنة ١٩٤٦م.

٣٤٦-مجلة الشهاب ، العدد ٣ سنة ١٣٩٣هـ.

٣٤٧-مجلة الشهاب اللبنانية ، عدد٢١ بتاريخ ١٦/ ٢ / ١٣٩٣هـ.

٣٤٨-مجلة الشهاب اللبنانية العدد ٢١ ، صفر عام ١٣٩٣هـ.

٣٤٩-مجلة المجتمع ، عدد ٨٣٢ بتاريخ ١/ ٩ / ١٩٨٧ .